٣- العلاقة بين الرجل والمرأة
في العصر الحديث

obeikandl.com

obeikandl.com

الفرق بين الرجل والمرأة

عندما نقبل إلى هذه الحياة يكون قد تقرر لكل منا (ماعدا قلة من الشواذ) الجانب الذى ينضم إليه من جانبى الإنسانية ، فنحن إما ذكور وإما إناث . وتبدو هذه الفروق أول ماتبدو فى الناحية الجسمية ، لكنها ماتلبث أن تستغل اجتماعياً بحيث يسمح لها أن تتدخل تدخّلاً خطيراً فى تشكيل مصير الفرد تبعاً لجنسه الذى لم يكن له أى نصيب فى اختياره .

ورغم أن الفروق الجسدية تبدو واضحة فى أول الأمر إلاّ أنها تنمو وتزداد بنمو السن حتى تبلغ أوجها عند تمام النضج الجنسى .

وأهم الفروق الجسمية الخارجية هو أولاً إنتشار الشعر ودرجة توزيعه ، فشعر رأس المرأة طويل ناعم فى الغالب وقلما تكون هناك امرأة صلعاء بينما ينمو للرجل شعر فى لحيته وفوق شفتيه العليا وأحياناً ماينمو الشعر كثيفاً فى الحواجب والأنف والأذن ، كما ينمو للرجل شعر على صدره وعلى ظهر كفيه .

وثانياً تكون الحنجرة أكثر بروزاً لدى الرجل . وثالثاً نجد أن عرض الحوض بالنسبة لعرض الكتفين فى المرأة أكبر مما هو لدى الرجل ، ، وهذا الاتساع يستخدمه الرحم أثناء الحمل ، كما أنه يجعل الردفين يتجهان نحو الركبتين ، وهذا الانحراف فى عظام الفخذ هو الذى يعطى المرأة مشيتها الخاصة بها .

ورابع هذه الاختلافات هو كميات الشحم التى تتكاثر لدى المرأة خلف الثديين ، وفى الجزء الأسفل من البطن وحول الردفين والفخذين .

وقد لاحظ العلماء أن تركيب جسم المرأة أقرب إلى جسم الطفل ، وبعبارة أخرى

قالوا إن المرأة طفل كبير ، لأن صوتها يظل رقيقاً كصوت الأطفال وجسمها أملس كجسمهم ، أما الرجل فهو الذى يتطور تطوراً حقيقياً بحق عن الطفل . ويستدل من هذا على أنالرجل أرقى فى سلم التطور من المرأة ، لاسيما وأننا إذا خصينا الرجل فإنه يتجه نحو الأنوثة ، ولكننا إذا نزعنا مبيضى الأنثى فإنها لا تتحول رجلا . ومعنى هذا أن الرجل أعقد فى تركيبه من المرأة وبالتالى فهو بعدها فى سلم التطور ، ولكن هناك رأياً آخر يتزعمه هافلوك إليس يقول إن البشرية تتطور نحو الأنوثة ، لأن الرجل المتحضر أبعد كثيراً عن الخشونة من الرجل البدائى .

هذا ، وعادة ما يكون الذكور أثقل وزناً وأطول قامة وأقوى عضلات ، أما الفتاة فإنها تتفوّق فى النموعلى الولد حتى قبل الولادة ، فحمل الإناث أقصرمن حمل الذكور عادة ، ثم يظل التفوق للأنثى فيما بعد فى نمو الهيكل والأسنان وتعلم المشى والكلام وسن البلوغ .

ولكن الرجل أثبت فى وظائفه العضوية ، أى أن حرارة الجسم وعمليتى الهدم والبناء ومستوى السكر والكلسيوم أثبت فى الرجل مما هو فى المرأة ، ولهذا كانت المرأة أكثر عرضة للإغماء نتيجة لهبوط السكر أو الكلسيوم السريع .

وهذا يقودنا إلى الحديث عن الاختلافات الداخلية . فإفراز الكلسيوم لدى النساء أكثر مما هو لدى الرجال ، وذلك لأنهن أكثر احتياجا إليه أثناء الحمل وبعده لمدّ الثديين باللبن . ولهذا أيضا فإنهن يحتجن إليه فى أوقات أكثر مما يحتجن إليه فى أوقات أخرى . وهذه النتيجة الأخيرة تجعل إفراز الكلسيوم زائدا ، ولذلك فإنه يخرج شهريا عن طريق الطمث ، ولذا فإن الفتاة تكون أقل استقراراً وثباتا من الرجل . فنقص الكلسيوم يسبب الصداع والإحساس بالضعف وانتشار الألم فى الأطراف وأحيانا ما يؤدى إلى تشنج عضلات اليد والقدم ، وفى بعض الحالات الخطيرة يصل إلى عضلات الجهاز التنفسى مما يسبب الموت .

وثانى اختلاف هام داخلى هو وجود الرحم لدى المرأة حتى قيل إن وجود الرجل يتركز حول شيء واحد هو عقله ، أما وجود المرأة فهو يدور حول مركزين هما العقل والرحم ، وكثيرا ما يحدث صراع بين الناحيتين حين تشتد الرغبة الجنسية من ناحية ويشتد الخوف من الحمل من ناحية أخرى .

ثم هناك الاختلاف فى الغدد التناسلية ، ولهذه الغدد نوعان من الإفراز خارجى وداخلى ، فإفراز هذه الغدد الخارجى لدى النساء هو البويضات ، ولدى الرجل هو الحيوانات المنوية ، أما الإفراز الداخلى لدى النساء فهو نوعان : إفراز الفيلوكيلين ويمكن تسميته باسم هرمون الحب ، وهو يقع قبل إفراز البويضة ، والآخر هو اللوتين ويمكن تسميته باسم هرمون الأمومة ، ويكون بعد نزول البويضة . وهذان الإفرازان هما من أسباب مايصيب المرأة من حالات الفرح والكآبة أو الحزن أو النرفزة . وأحيانا ما يتعاون هذان المزاجان وأحيانا ما يتنافران ، فنجد المرأة العاشقة تريد أن تحتفظ بجمال جسمها بينما نجد المرأة الأم تضحى بذلك فى سبيل إنجاب أطفالها وتغذيتهم .

ويقول بعض علماء النفس إننا لا يجب أن نعزو كل الصفات النسائية إلى المجتمع ، فإن كثيرا منها يرجع إلى الصراع بين الرحم والعقل . فكما أن جسم المرأة يظلّ أشبه بجسم الطفل فإن عقلها فى بعض النواحى يظل أشبه بعقل الطفل لا سيما فيما يتعلق بتقلباتها المزاجية .

تلك هى أهم الفروق الخارجية والداخلية لجسمى المرأة والرجل ، وهى فروق ترجع إلى عمل الطبيعة . أما الفروق العقلية ، فهى ترتد – فى كثير منها – إلى نظمنا الاجتماعية ولا تتدخل فيها الطبيعة إلاّ بالقدر الذى رأيناه .

والفروق العامة بين الرجل والمرأة فى مجتمعنا الحالى هو أن الرجل غالبا ما يكون ميّالاً إلى التجريد (ولهذا كان الفلاسفة من الرجال) أما المرأة فأكثر ميلاً إلى الواقعية .

كذلك نجد المرأة مستقبلةً (بكسر الباء) والرجل معطياً ، ولكن استقبال المرأة

لا يقلّ فائدة عن إيجابية الرجل ، وهو ليس عملا سلبيا . فالمرأة تحتاج إلى إيجابية كبيرة لكى تستسلم وتتألم فيما بعد (حين تحمل وتلد) . وأحيانا ما توقظ المرأة الرجل لكى يعدو وراءها وتنبهه إلى مافيها من إغراء وجمال ، بل هى أحيانا ماتختار من بين الذين يريدونها الشخص الذى يصلح أن يكون أبا لأطفالها . وهذا ليس سلبية .

هذا إلى أنه من الملاحظ أن الرجال يتفوقون فى الأعمال التى تتطلب المخاطرة كالاكتشاف والاختراع أو النشاط الجسمى كالأعمال الميكانيكية أو النشاط العقلى كالتجارة والأعمال المالية ، بينما تتفوق النساء فى الأشياء الجمالية ، كالثياب وفى أعمال المنزل والأعمال التى تتطلب خدمة وتضحية ، خصوصاً للصغار أوالعاجزين والبائسين .

ومن الناحية الانفعالية نجد الرجال يظهرون – بطريقة مباشرة أو غير مباشرة – تأكيدهم لأنفسهم وعدوانهم ويعبرون عن قسوتهم وعدم خوفهم وعن خشونتهم فى تصرفاتهم وشعورهم . أما النساء فهن أكثر جبنا وأصعب إرضاء وأسرع انفعالا وأكثر تمسكا بالأخلاق وأضعف فى السيطرة العاطفية .

أما من الناحية الجنسية ، فنحن نجد أن الرغبة الجنسية عند الرجل غاية تقصد لذاتها ، أما عند المرأة فهى وسيلة إلى شىء آخر هو الأمومة ، هذا إلى أن حساسية الرجل الجنسية تتركز فى عضوه التناسلى ، أما حساسية المرأة فتنتشرة على بشرتها أولاً ثم تتركز فى عدة أجزاء من جسمها ، ولهذا يقول شفارتز إن الحساسية الجنسية عند الرجل بيولوجية ، وعند المرأة سيكلوجية . ونتيجة لعدم تركّز الرغبة الجنسية فى عضو واحد كانت ممارسة العادة السرية لدى الفتيات أقل بكثير مما هى لدى الأولاد .

ولا بد من أن نشير هنا إلى رأى التحليل النفسى فى الاختلاف الرئيسى بين الفتى والفتاة ، فحين يكتشف الولد الفرق بينه وبين الفتاة يخشى على فقدان شىء منه بعكس الفتاة التى تريد الحصول على شئ مفقود . وعندما تكتشف الفتاة عقدة الإخصاء يكون أمامها أن تتجه اتجاها من ثلاثة . إما الكبت الجنسى وما يتبعه

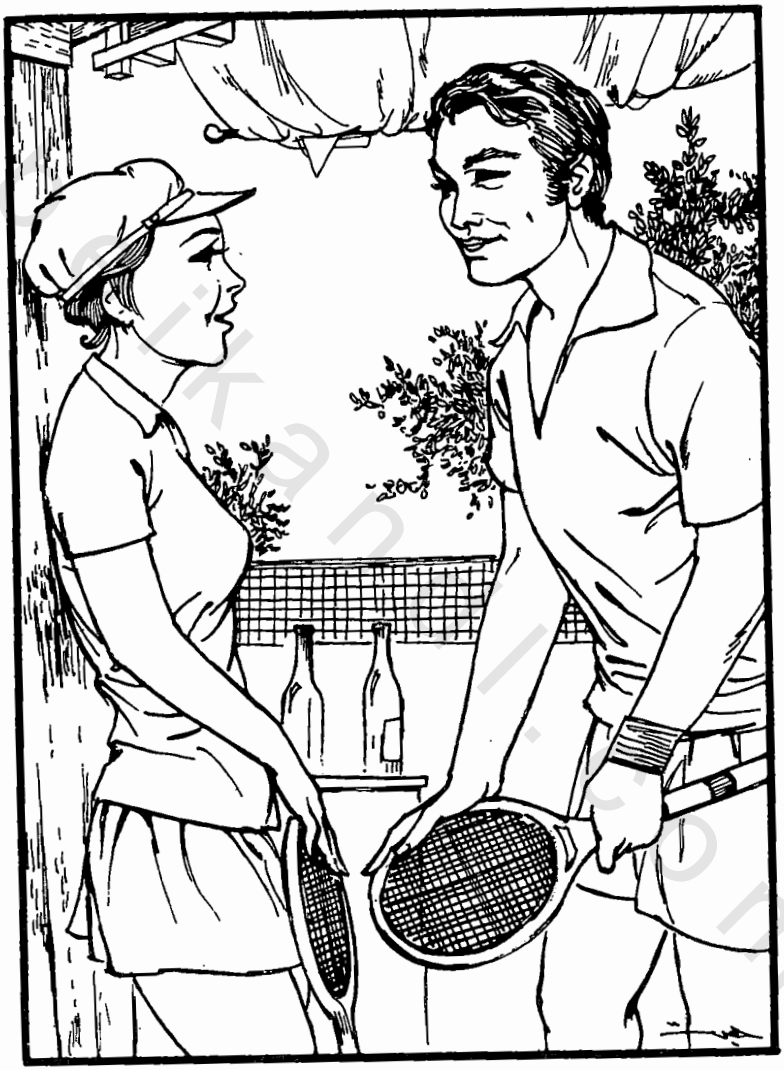

الصداقة فى العصر الحديث – الحب والصداقة

من العصاب ، وإما أن تسترجل ، وإما أن تتخذ طريق الأنوثة الطبيعى . وفى هذا الاتجاه الأخير تصبح رغبتها فى أن يكون لها طفل بديلاً عن رغبتها فى الحصول على ذلك الشئ المفقود منها ، والذى يمتاز به الولد عنها .

ولئن كانت للنواحى التشريحية تأثيرها فى الفروق بين الجنسين ، فإن للعوامل الاجتماعية – عن طريق تقسيم العمل – تأثيرها الأكبر فى تكييف هذه الفروق . ونكتفى هنا بالإشارة إلى بحوث « ميد » فى غينيا الجديدة بجزائر مانوس حيث وجدت أن العرائس كلعبة لدى الأطفال لا وجود لها ، وحين عرضت بعضها اهتم بها الأولاد لا الفتيات ، وربما كان هذا راجعاً إلى انشغال النساء بأعمالهن طول اليوم ، بينما يتفرغ الرجال للعناية بالأطفال . ثم بحثت حالة ثلاثة مجتمعات بدائية كل منها يختلف عن الآخر . وأول هذه المجتمعات هو قبيلة الآرابيش وأخلاق الجنسين فيها أخلاق نسائية بالنسبة لمجتمعنا ، فكلهم مسالمون متعاونون يهتمون بالضعيف . ثم قبائل ماندجومور وهى عكس القبيلة الأولى كلهم يظهرون صفات خشنة ، فهم آكلو لحوم بشرية وهم عدوانيون ويطربون جدا للحروب ويردون الإهانة بمثلها أو أضعافها ، ثم هناك التشامبولى ومهام الجنسين هناك على عكس ماهو عليه الأمر فى مجتمعنا ، فالنساء هن المسيطرات هناك ، أما الرجال فيعملون بالفن أو يشغلون أنفسهم بأشياء لا نفع فيها ، فهم ماهرون فى الرقص والحفر والرسم وما إلى ذلك ، ويهتمون بجمالهم كما أنهم عاطفيون جبناء حساسون . أما النساء فهن عمليات منتجات وبالطبع فى كل من هذه المجتمعات شواذها الذين يخالفون السائد فيها .

ووجود هذه المجتمعات جنبا إلى جنب يبرهن إلى أى حد يمكن للاعتبارات الاجتماعية أن تتدخل فى مصير هذا الجنس أو ذاك .

الحبّ والحواس الخمس*

الحواس الخمس من نظر وسمع وشم وذوق ولمس هى نوافذنا التى نطل منها على العالم الخارجى أو هى الأبواب التى منها يصل العالم الخارجى إلينا ، ولسنا نستطيع أن نفترض وجود إنسان يعيش بلا حواس ، وقد نجد شخصا عدم حاسة أو حاستين لكن ماتزال لديه بقية الحواس الأخرى يدرك بها العالم الخارجى . ولا شك أن هذه الحواس تلعب دورها الهام فى عملية الحب بين الرجل والمرأة .

البصر :

ويقوم البصر بالدور التمهيدى فى اختيار الجنس الآخر ، وذلك لأن عالم الإنسان عالم بصرى ، أى أنه يدرك عن طريق النظر أكثر مما يدرك عن طريق الحواس الأخرى ، بينما يكون الشم هو الحاسة الرئيسية لدى بعض أنواع الحيوان الأخرى . ويكون اللمس هو الحاسة الوحيدة لدى الكائنات الدنيا ذات الخلية الواحدة .

والجمال الإنسانى هو التعبير الذى نستعمله عندما يرتاح البصر إلى رؤية شخص ما . ومع ذلك فنحن لا نجد عالم الجمال مقصورا على الإنسان ، فهو يلعب دوره الهام فى التكاثر لدى البنات وفى التناسل لدى الحيوان ، فأعضاء التذكير والتأنيث لدى النبات – أى الأزهار – هى أجمل الأعضاء ، كما أن كثيرا من الطيور – لا سيما الذكور منها – لها ألوان زاهية مما يجذب إليها انتباه الجنس الآخر .

(*) إعتمدت فى الأفكار الأساسية لهذا الفصل على الفصل الذى عقده هافلوك إليس فى كتابه : سيكلوجية الجنس ، بعنوان عوامل الانتخاب الجنسى .

وهناك رأى يقول بأن مقاييس الجمال الإنسانى وثيقة الصلة بناحية النسل ، فالمرأة الجميلة هى المرأة التى يكون جسمها أكثر استعداداً لحمل الأطفال وإرضاعهم . ومن هنا كان الإعجاب بأرداف المرأة وأثدائها . ولو أن الحضارات اختلفت فى الإعجاب بمدى ضخامة هذه الأجزاء من جسد المرأة . وقد قيل إن الرجال فى الحضارات المتأخرة يعجبون بالمرأة كلما كانت أكثر سمنة ، بينما يعجب الرجال فى الحضارات المتقدمة بالمرأة الرشيقة أى التى تتناسب فيها هذه الأجزاء على نحو معتدل . وعلى أية حال فإن امتلاء الأرداف لدى المرأة يوحى للرجل بأن حوضها من الاتساع بحيث تستطيع أن تقوم بعملية الحمل بدون كبير مشقة ، كما أن امتلاء الأثداء يوحى له بأنها أقدر على إرضاع أطفالها .

ولهذا كان الهدف من بعض أنواع الرقص – لا سيما الشرقى منه – هو إبراز هذه الأجزاء لإثارة الرجل ، ولهذا أيضا ترتدى السيدات من الثياب مايبرزها . بل إن ملابس المرأة فى العصور الوسطى كان هدفها تضخيم بعض هذه الأجزاء تضخيماً صناعيًّا . والملابس بوجه عام هى وسيلة من وسائل السيدات على الأخص – لاجتذاب نظر الرجال ، وليس هدفها فقط هو تغطية الجسم كما يظن الكثيرون .

ولا يقتصر الأمر على الملابس بل على وسائل التزّين ، وتفنّن المرأة فى إظهار محاسنها ، وذلك بالاهتمام بطريقة تصفيف شعرها ، ووضع المساحيق على وجنتيها ، وشفتيها ، وهذه كلها مناطق تسهم مساهمة مباشرة فى عملية الحب .

ويجذب انتباه الرجل إلى المرأة شعر رأسها الطويل ولونه – فاحماً كان أم ذهبياً – كما يثير انتباهه أيضا انعدام الشعر فى بقية جسمها . أما شارب الرجل والشعر الذى ينمو على ذقنه وصدره فإنه يثير المرأة فى أحيان كثيرة .

ولا شك أن هناك نماذج مختلفة من الجمال تختلف باختلاف البيئة ، فالجمال الشرقى بوجه عام غير الجمال الأوربى ، ثم هناك جمال صينى وآخر يابانى ومصرى

. . . . . الخ . ويكون الفرد أكثر ميلا إلى النموذج الذى يمثل الجمال فى قومه ، ومع ذلك فإن لكل فرد نموذجه الخاص به . ولكن للجمال الإنسانى شروطاً عامة يتفق عليها الجميع وإن اختلفت التفاصيل تبعاً لأسباب تتعلق بتاريخ كل شخص . ولا شك أن هناك مايسمى بخفة الدم وهو يتعلق بحلاوة الروح أكثر مما يتعلق بمقاييس الجمال الجسدية .

ولئن كان الرجل يعجب بجمال المرأة ، فإن المرأة لا تعجب بجمال الرجل بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، بل هى تعجب فى الواقع بما يتصل بقوة الرجل وشجاعته ، قوته الجسدية أو المادية أو العقلية . والواقع أن منظر القوة ، رغم اتصاله بحاسة النظر ، إلا أنه وثيق الصلة بحاسة أخرى هى حاسة اللمس ، فالمرأة فى هذه الحالة تنقل إحساسها البصرى إلى إحساس بالضغط . فقوة الرجل تتضمن قدرته على حماية المرأة وأولادها ، وعلى قيامه بالوجه الأكمل بدور الرجل الإيجابى فى عملية الحب . وكثير من النساء لا يدركن أن القوة الجسدية – بالرغم من ذلك – قد لا تتفق وقوة الرجل الجنسية ، فقد دلت الإحصاءات على أن أبطال الرياضة قد يكونون أقل قدرة من غيرهم فى هذه الناحية .

كذلك تلعب المناظر العاطفية سواء أكانت الواقعية منها أم التى فى الصور أو السينما دورا هاما فى الإثارة . ويدرك المشرفون على إخراج كثير من الأفلام هذه الحقيقة – لا سيما لدى الفئات المحرومة – فيكثرون من مناظر القبل والعناق .

ونحن نجد أن جانباً كبيرا من الفنون والآداب قد عبر عن هذا الإعجاب بالجمال ، فالتماثيل الإغريقية الرائعة ، والصور التى رسمت فى عصر النهضة ، وملايين الأبيات التى قيلت فى الغزل – ومن أشهرها نشيد الإنشاد المنسوب إلى سليمان – كلها تشيد بجمال الجسد الإنسانى ، وخاصة ذلك الذى يمثل الأنوثة ، ولنستمع إلى شاعرنا الشعبى المجهول وهو يستمتع بحاسة بصره حين ينظر إلى المرأة فيقول :

أنظر بعينك ياجميـــــل بيضة فى لون الياسمين
راسها راس اليمامـــــة سبحان الخلاق العظيم
ياقورتها هلال شعبـــان ياشعرها سلب الجمـــال
ياعيونها عيون غـــزلان ياحاجبها خطين بأقـــلام
ياسنانها لولى ومرجـــان ياخدودها تفاح الشـــام
ياحنكها خاتم سليمـــان ياصدرها بلاط حمـــام
يابطنها عجين خمـــران ياسرتها قعر الفنجـــان

. . . . . .

السمع :

وتأتى بعد حاسة البصر حاسة السمع . ويرى الكثيرون أنّ منشأ الموســـيقى والموسيقى هى الأصوات الإيقاعية – هو تشابهها مع الإيقاع الموجود فى بعض وظائفنا الحيوية مثل التنفس ودقات القلب . ويقول أحد علماء اللغة إن الصوت الإنسانى نشأ بسببين : صيحة الطفل الجائع يطلب طعاماً ، وصيحة الذكر يطلب الأنثى . وللموسيقى تأثير كبير على الحيوان ، فهى تغيّر من سرعة التنفس ودقات القلب ، وأحيانا تستدرّ الدموع فى العينين . وليس من شك فى أن غناء الطيور يلعب دورا هاما فى علاقات الحب بينهما ، وغالبا ما يكون الذكر هو صاحب الغناء ، ونقيق الضفادع الذى نسمعه فى الحقول هو صوت الذكر يدعو الأنثى إليه ، ولا يستثنى من ذلك إلا بعض الحشرات التى يكون للأنثى دور فى الغناء .

أما عند الإنسان فمن المعروف أن حنجرة الصبى تتضخم حجما عند المراهقة ويتضخم تبعاً لذلك صوته . وبينما يزداد حجم الحنجرة لدى المرأة فى هذه السن بنسبة خمسة إلى سبعة ، تزداد لدى الرجل بنسبة خمسة إلى عشرة . وتغيّر حنجرة الرجل عن حنجرة المرأة فى هذه السن يدل على مدى الدور الذى يمكن أن يقوم به الصوت

فى علاقات الحب بين الجنسين . ومما يؤكد ذلك أنه عندما كان يخصى الأولاد فى هذه السن فإن أصواتهم تظل كما هى لا تتغير . كذلك من المعروف أنه فى سن المراهقة يبدأ الاهتمام بالموسيقى والغناء سواء أكان تأدية أم غناء ، وهو اهتمام قد لا يستمر إلا فترة قصيرة وقد يستغرق العمر كله .

ومن هنا كان للأصوات تأثيرها العاطفى ويعتقد هافلوك إليس أن المرأة تتأثر بصوت الرجل أكثر مما يتأثر الرجل بصوت المرأة ، ذلك لأن صوت المرأة لا يتغير كثيراً عن صوت الطفل ، فهو ليس خاصية تنفرد بها المرأة . أما صوت الرجل فهو متميز واضح . وهذا الرأى يتفق والقول أن ذكور الحيوان هى التى تستخدم صوتها للتأثير على إناثها . ويؤيد هافلوك إليس رأيه بأن كثيرا من الروايات التى ألفتها نساء نلمح فيها اهتماما بوصف صوت البطل وبالتأثير العاطفى لهذا الصوت على البطلة .

ولكننا نعتقد أن لصوت المرأة تأثيره على الرجل بقدر لا يقل كثيراً عن تأثير صوت الرجل على المرأة ، لا سيما فى ضحكاتها التى طالما تغزل بها الشعراء والأدباء . ولولا تأثير صوت المرأة لما وجدت المطربات إلى جانب المطربين .

ومن أعذب ماجاء فى الشعر العربى فى هذا المجال قصيدة ابن الرومى يصف فيها المغنية وجيد فيقول :

تتغنى كأنهـا لا تغنـــى ... من سكون الأوصال وهى تجيد
من هدو وليس فيه انقطـاع ... وسجو ومـا بـه تبليـد
مـد فى شأو صوتها نفس كا ... ف كأنفاس عاشقيها مديـد
وأرق الدلال والغنـج منـه ... وبراه الشجا فكـاد يبيـد
فتراه يموت طوراً ويحيـا ... مستلـذ بسيطـه والنشـيد
فيه وشى وفيه حلى من النغـم ... مصوغ يختـال فيـه القصيد
طاب فوها ومـا ترجع فيـه ... كل شىء لها بذاك شهيـد

الشم :

وتلعب حاسة الشم دوراً له أهميته فيما يختص بالعلاقات بين الجنسين ، ويقال إن للبدائيين حاسة شم أقوى مما لدى المتمدينين ، ولو أنه ليس هناك ما يدل على ذلك من الناحية البيولوجية . كما يقال إن الدور الذى تلعبه حاسة الشم فى حياة الإنسان العاطفية له دور أكبر فى البلاد الحارة عما هو فى البلاد الباردة ، ولعل مرد ذلك أن الحرارة تعمل على إفراز العرق وتحليل المواد تحليلا يعطيها روائح مختلفة . ومن المعروف أن حاسة الشم هى أقوى الحواس لدى بعض أنواع الحيوان .

والشم لدى الإنسان قريب الشبه بحاسة اللمس من ناحية عدم وضوح مصدره مالم يكن مصاحبا لحاسة البصر أو السمع ، ذلك أن لكل فرد شكله وصوته اللذين يتميز بهما ، ولكن ليس له رائحته وملمسه بنفس القدر من التميز ، ومع ذلك فللرائحة والملمس دورهما فى الإثارة العاطفية .

فحاسة الشم تكاد تكون أقوى الحواس قدرة على الإيحاء وإثارة الذكريات إثارة عاطفية عميقة . ذلك لأن الروائح شديدة التأثير على الجهاز العصبى حتى أنها لوكانت أقوى مما يحتمل لسببت الإجهاد .

ومن المعروف أن لكل فرد – رجلاً كان أم امرأة – رائحته الخاصة به ، بل إن أحد العلماء يذهب إلى القول بأنه من الممكن معرفة شخصية الإنسان من رائحته ، وغالبا ما يكون مصدر هذه الرأئحة هو الإفرازات التى تخرج من مسام البشرة وبصيلات الشعر .

وقد اكتشف الإنسان الروائح من أقدم العصور فى بعض النباتات ، وأطلق عليها اسم العطور ، واستعملتها النساء على وجه الخصوص ، فيملأن الجو بعبقهن ، ويربط الرجل بين العطر وصاحبته حتى إذا غابت عنه واستنشق نفس العطر ذات مرة عادت إليه صورتها وذكرياتها .

ويقال إن الأصل فى العطر لم يكن إخفاء رائحة الجسد الطبيعية ، بل على العكس من ذلك ، كان الغرض منه إظهار هذه الرائحة بصورة أعنف . ولهذا فإن الروائح المفضلة لدى كثير من الطبقات ليست هى الروائح الرقيقة ، بل هى أكثرها عنفا وحيوانية وإثارة للجنس كالمسك والعنبر .

وكثير من النساء تثيرهن الرائحة التى تنبعث من سجارة أو سيجار يدخنه الرجل ، بينما قد ينفر الرجل من رائحة المرأة التى تدخن . ولعل السبب فى ذلك راجع إلى تاريخنا الذى يربط بين الرجولة والتدخين .

ويزداد أثر الرائحة وضوحاً فى حالة العلاقة الوثيقة بين الجنسين ، فرائحة الفم الكريهة مثلا قد تسبب فى طلاق كثير من الأزواج . ومع ذلك فهناك من الشواذ من تثيره رائحة العرق مثلا . ولكن هؤلاء قلّة .

وتزداد حساسية الشم لدى بعض النساء أثناء الحمل ، فنجد أن رائحة بعض ألوان الطعام تثير من شهيتهن ، بينما تبعث أنواع أخرى على اشمئزازهن اشمئزازا قد يصل إلى حد الغثيان ، وهناك رأى شائع بين العلماء بأن النساء بوجه عام – صغارا أم كبارا – أكثر حساسية بالروائح من الرجال .

وقد وصف كثير من الشعراء رائحة المرأة وعطرها ، فمؤلف نشيد الإنشاد يقول لفتاته شوليث « رائحة أنفك كرائحة التفاح » وينشد فى بيت آخر قائلا « رائحة ثيابك كرائحة لبنان »

وإن الدور الذى تلعبه اليوم حاسة الشم فى العلاقات العاطفية يدل على ما كان لها من أهمية لدى أسلافنا قبل أن يحتل النظر المكانة الأولى .

اللمس :

أما حاسة اللمس فهى تتميز بميزتين ، أولاهما أنها أكثر الحواس شيوعاً بين الكائنات ،

حتى إن ذات الخلية الواحدة لاتملك من الحواس إلا حاسة اللمس . وثانيهما أن هذه الحاسة هى أكثر الحواس إثارة فى العلاقة بين الجنسين ، كما هو الأمر فى الدور الذى تلعبه عن طريق العناق والقبلات .

ويلعب اللمس الدور الأول فى العلاقات الجنسية بين مختلف الكائنات ، فهو الحاسة الرئيسية لدى العناكب ، وله دوره الهام لدى الكلاب والماشية والخيل والغزلان والفيلة .

وفى سن المراهقة تتخيل الفتيات أوضاعا يلعب فيها اللمس الدور الرئيسى كالعناق والقبلات وقد يحسبن – حتى يوم زواجهن – أن العلاقة بين المرأة والرجل لا تتعدى ذلك ولا ننسى ما سبق أن ذكرناه أن إعجاب المرأة بمنظر الرجل القوى وثيق الصلة بحاسة اللمس ، أى أن المرأة تنقل إحساسها البصرى إلى إحساس بالضغط .

كذلك سبق أن ذكرنا أن الرجل يعجب بالشعر الطويل فى رأس المرأة وبانعدامه فى بقية أجزاء جسمها ، ويمكننا أن نقول الآن بأن ملمس هذا الشعر ونعومة الأجزاء الأخرى من جسد المرأة يفعمُ الرجل بالنشوة ، كما سبق وذكرنا بأن المرأة تعجب بمنظر شارب الرجل وبالشعر الذى ينمو على ذقنه وصدره ، ويمكننا أن نقول الآن بأن ملمس هذه المناطق وخشونتها يسكر بدوره المرأة . وقد صور برنارد شو فى مسرحيته « الأسلحة والرجل » ضابطا بلغاريا يجتذب النساء بشارب يطرف أعينهن بطرفيه المدببين كلما هم بتقبيلهن ، فإذا بهن يتهافتن بين ساعديه ثملات .

ويمكن اعتبار البشرة كلها مجالا لحاسة اللمس . وبشرة المرأة أكثر حساسية ذلك أن الحساسية العاطفية موزعة لديها على مناطق كثيرة من بشرتها ، كالصدر والمنطقة التى ينمو من خلالها شعر الرأس ، أما الفتحات المغطاة بأغشية شديدة الحساسية تعرف باسم الأغشية المخاطبة – كالشفتين – فهى مناطق شبقية لدى الجنسين .

وتعتبر القبلة المثال النموذجى للدور الذى يقوم به اللمس فى العلاقة بين الجنسين ،

ويوجد لدى الحشرات والقواقع مايشبه القبلة ، كما أنها موجودة لدى الكلاب والخيل والحمير وكثير من أنواع الحيوان والطيور ، وكلنا يذكر بيت شوقى الذى يقول فيه :

قربى فاك من فمـــى كما لف منقارهما غردان

وقد تعرض المثالون والرسامون والشعراء والأدباء ومخرجو السينما لتصوير المرأة والرجل فى أوضاع يتلامسان فيها قليلا أو كثيرا . فما قاله الشعراء فى القبلة ، هذه الأبيات للشاعر السورى المعاصر نزار قبانى ، فاسمعه يقول

شفة كآبار النبيـــذ . . . مليئة كم مرة أفنيتها وفنيـــت ؟
القبلة العمياء . . . حين غصبتها أخذت فمى منى ، فكيف بقيت
شفتان معصيتان أصفح عنهما مادام يرشح فيهما الياقـوت
شفتان مقبرتان شقهما الهـوى فى كل شطر أحمر . . تابوت
الفلقة العليا . . دعاء سافـــر والدفء فى السفلى . . فأين أموت؟

التذوق :

ويقول هافلوك إليس إنه ليس للقبلة علاقة بحاسة التذوق كما يظن البعض ، بل هى متصلة بحاسة اللمس فحسب . فحاسة التذوق لا تلعب دوراً ما فى العلاقة بين الجنسين ، لأن التذوق يتصل بالحاجة إلى الطعام ولا يتصل بالحاجة إلى الجنس ، رغم أن هناك كائنات تأكل أناثها الذكور بعد أن تتم عملية التلقيح .

ومع ذلك فنحن نجد صاحب نشيد الإنشاد يقول لحبيبته السمراء « شفتاك ياعروس تقطران شهدا ، تحت لسانك عسل ولبن » .

كما ذكر كثير من الكتاب أن الإنسان عندما يحب شخصاً حبًّا عنيفاً فإنه يتمنى لو يأكله . ولا شك أن هناك علاقة بين الطعام الذى نستسيغه فنأكله وبين الشخص الذى نحبه فنتمنى أن نأكله أكلاً لا يتعدى حد المداعبة .

وفى مواويلنا نجد أن الشاعر الشعبي يصف فتاته بالخس الريانى ، ويشبهها بالمشمش الظرى المبلول ، كما أننا نصف المرأة الجميلة بأنها حلوة أوطعمة .

وهكذا نجد أن الحواس تتآزر جميعها تقريبا وتتدخل فى العلاقات بين الجنسين ، وأنها حين تقوم بهذا الدور ، تتيح لنا أن نستمتع باستخدامها بدرجات تختلف مابين مجرد الغزل العذرى والإلحاح الحسى .

obeikandl.com

لماذا يتزوج الناس ؟

هناك مثل يقول إن الغنى يتزوج ليجد له وريثا ، أما الفقير فلأنه لا يستطيع الإنفاق على عشيقة . وكان أجدادنا الفلاحون يتزوجون بغير أن يثيروا مثل هذا التساؤل ، ولكن ظروف حياتنا الحاضرة العسرة هى التى تجعلنا نتساءل عن السبب الذى يدفع الناس إلى الزواج ، وهل هو نظام إنسانى طبيعى أم هو نظام مصطنع قد وجد بوجود ظروف تاريخية معينة وسيزول بزوالها .

الواقع أن نظام الزواج موجود لدى بعض أنواع الطيور ، وبعض أنواع الحيوان ، بل وبعض الحشرات والزواحف كالثعابين مثلا ، وهذا يدلنا على أن نظام الزواج ، بل الزواج من واحدة لدى كثير من الحيوان ، هو نظام لم يبتدعه الإنسان . أما الإنسان فقد عرف نظام الزواج بأشكاله المختلفة منذ أقدم العصور ، عرف زواج رجل واحد بعدة نساء كما عرف زواج عدة رجال بامرأة واحدة ، وعرف زواج رجل واحد بامرأة واحدة ، بل إن هناك من يفترض قيام نظام كان فيه عدة رجال يتزوجون عدة نساء .

وموضوع الزواج موضوع متشابك تلتقى فيه عوامل غريزية ونفسية واجتماعية ، وبمجرد أن يتزوج الأعزب تتغير نفسيته وشخصيته وعاداته الاجتماعية ، ولا يمكنه أن يعود مرة أخرى – أو تعود المرأة المتزوجة مرة أخرى – إلى ما كان عليه قبل زواجه حتى لو ماتت زوجته أو انفصل عنها . وكل شخص مقبل على الزواج عليه أن يدرك أن عالم الزواج يختلف تماما عن عالم الحب الذى يكون سابحا فيه مع فتاته . فعالم الحب عالم يبتعد عن الناس ، لا يريد تدخل الناس ولا مضايقاتهم ، ويعتبر العشيقان أن مابينهما سرا يخشيان عليه من المجتمع والآخرين ، أما الحب الزوجى فهو علانية

وانضمام إلى حظيرة المجتمع بعد هذه العزلة التى فر إليها الحبيبان قبل زواجهما ، يؤيد ذلك أن الزواج نفسه لا يتم إلا بشهود وخلال مراسيم اجتماعية معقدة .

ولهذا فإن الحب ليس هو جوهر الزواج وإن كان هو أحد الأعمدة التى يقوم عليها ، فحب بدون إمكانيات اقتصادية معقولة لا يؤدى إلى زواج ناجح (كما أن مالاً بدون حب لا يؤدى إلاّ إلى زواج فاشل) . فالزواج أقرب إلى الصداقة والألفة . ذلك لأن الحب بين المرأة والرجل هو من ناحية التحليل النفسى رغبة جنسية قد أجل صاحباها تحقيقها ، ولهذا فإنه بتحقيق هذه الرغبة عند الزواج تهدأ العواطف ، وإذا لم يكن هناك ما يعمل على الجمع بين الزوجين إلا تحقيق هذه الرغبة فإن الزواج يهدده الفشل . ولهذا فلا بد من وجود عوامل أخرى غير مجرد الحب تجمع بين الزوجين .

ويترتب على ذلك أن الزواج ليس أيضا مجرد تحقيق للرغبة الجنسية . ومع ذلك فإن العلاقات الجنسية هى الناحية الحسية فى اتحاد الزوج بزوجته ، بل إنها تساعد أحيانا على تقوية هذا الاتحاد إذا أصابه الضعف . والواقع أنه من العسير على شخصين أن يمضيا فى شجارهما فى الوقت الذى ينامان فيه معاً . ولكن هذه الناحية الجنسية تتغير بمضى الزمان أثناء الزواج ، ففى أول الأمر يكون سبب الإثارة هو جدة العلاقة وعاطفة الحب التى تغذيها ، ولكن فى المرحلة التالية من الزواج يكون مصدر الجاذبية الجنسية فى المرأة هوأنها تلك المرأة التى يألفها الزوج ، هو ذلك الوجه العزيز الذى رآه مرات كثيرة ، هو تلك الوحدة التى واجها بها شرور الزمن وخيراته ، حتى إن أحدهما لا يكاد يلاحظ ما أصاب الآخر من تجعدات أو ترهلات . وقد تموت الرغبة الجنسية بمضى الزمن ، ولكن علاقة الزوج بزوجته تظل كما هى إذا كانت تستمد من الماضى ذكريات طيبة . ومما يؤيد ذلك أن هناك زوجات يجدن أزواجهن قد توقفوا فجأة عن معاشرتهن فلا يأبهن لذلك كثيرا وتستمر الحياة بينهما ، وربما يكون ذلكَ راجعا إلى إخلاص الزوجة لفكرة الزواج نفسها أكثر من إخلاصها لزوجها ،

ولكن إذا اكتشفت الزوجة أن زوجها توقف عن معاشرتها ليخونها مع امرأة أخرى ، فإنها هنا فقط تثور وتتحطم علاقتها بزوجها .

معنى هذا أن أساس الزواج هو مشاركة الزوجين فى السراء والضراء . وكما أن حياتهما أصبحت واحدة ، كذلك الأمر فى جسميهما فإنه يصبح جسماً واحداً ، ولا يعود هناك ما يخجلان منه . وليس معنى هذا أن يهمل أحد الزوجين نفسه إهمالاً منفّرا ، ولكن معناه أن الألفة تجعل وجه الزوجة بلا مساحيق أجمل ، معناه أن ترتفع الكلفة بين الزوجين فيكون من العوامل التى تعمل على زيادة الصلة بينهما أن يرى أحدهما الآخر وهو يأكل ويشرب وينام .

وقد سبق أن قلنا بأن الزواج علانية ، يتم بشهود وخلال مراسيم اجتماعية معينة ، وقد يظن بعض الناس أن الزواج ليس هو إلاّ هذه المراسيم والشعائر . والحقيقة أن هذه هى الصورة الشكلية للزواج ، أى التى تعطيه صورته الخارجية . ويمكن تشبيه ذلك بعلاقة المؤمن بربه ، فهذه العلاقة علاقة خاصة ، ومع ذلك فإن المؤمن عليه أن يمارس مجموعة من الطقوس والشعائر كالصيام أو كالصلاة فى الجامع أو الكنيسة ، ودين بغير طقوس لا وجود له ، ولكن مجرد ممارسة الشعائر الدينية كذلك ليس معناه بالضرورة تدين من يؤديها . هكذا الأمر فى الزواج ، فهذه الطقوس الاجتماعية التى تقام أثناء عقده ضرورية له ضرورة الشعائر الدينية بالنسبة للمؤمن ، وبدونها لا يكون هناك زواج ، كما أنه بدون الشعائر الدينية لا يكون هناك دين ، ولكن مجرد إجراء هذه المراسيم وفخامتها ونجاحها ليس معناه نجاح الزواج لأنها ليست هى جوهره .

وليس الزواج أيضا معناه ضرورة وجود الأطفال ، ومن لا يقدر زوجته إلاّ بما تنجبه من أطفال إن هو إلاّ إنسان لا ينتمى إلى حضارة القرن العشرين ، بل إلى تلك القبائل البدائية التى كان فيها حمل الفتاة قبل الزواج – والاتصال الجنسى هناك مباح قبل الزواج – دليل على أهليتها للزواج بما تحمله من خصوبة وذريّة ستجلبها

لزوجها وقبيلتها . فالاهتمام بإنجاب الأطفال هو من بقايا مجتمع القبيلة حين كان عدد أفرادها من بين أسباب تفوقها على القبائل الأخرى . ومما لا شك فيه أن الزوجين عندما يكتشفان أن بيتهما لن تملأه ضجة الأطفال فإنهما يحزنان حزنا عميقًا ، لأن الولد يفترض أنه سيكون أنيساً ووريثاً ومعيناً عند الكبر ، ولكننا إذا كنا نحترم إنسانية شريكنا فى الحياة ، بل وإنسانيتنا ، فيجب ألاّ يكون العقم مبررا للتفكير فى الانفصال حتى لو علمنا أن سبب العقم راجع إلى هذا الشريك ، لأننا يجب أن نضع أنفسنا مكانه ونعلم كم يصيبنا الأسى والحزن إذا تعلقت رغبة الإنسان الآخر فى مشاركتنا الحياة تبعا لعقمنا أو لخصوبتنا . إننا فى هذه الحالة ننظر إلى شريكنا باعتباره آلة ووسيلة . حقا إن أنوثة المرأة لا تكتمل إلاّ بالأمومة ، ولكن إذا تعذر هذا النوع من الأمومة فإنه يمكن ممارستها بطرق مختلفة ، يمكن للمرأة مثلا أن تمنح زوجها أمومتها الروحية ، كما يمكنها تبنى الأطفال ، أما الذين يعتقدون أن وجود الأطفال يمنع تحطم الأسرة فهم واهمون ، إن وجود الأطفال قد يعيق تحطم الأسرة لكنه لا يمنعه ما دامت أسباب الشقاق بين الزوجين أسباباً عميقة . ولهذا فإن نوع العلاقة بين الزوجين هو الذى يحدد استمرارها بغض النظر عن وجود الأطفال أو عدم وجودهم ، والحالة الوحيدة التى يمكن أن يكون فيها عدم إنجاب الأطفال مبرّرا لشقاق جدى بين الزوجين هو أن يكونا قادرين على إنجاب الأطفال ولكن أحدهما يستعمل وسائل لمنع النسل بالرغم من عدم موافقة شريكه .

والزواج الناجح نوعان ، إما أن يكون ناجحا لأن أحد الزوجين سميع مطيع للآخر بحيث لايثير اعتراضا أو إشكالا ، وهذا النوع من الزواج يحقق الأغراض الغريزية والضرورية للجسم والعقل وهو نجاح منحط إذا جازلنا أن نسميه كذلك . والنوع الآخر يكون زواجا ناجحا ، لأن للزوجين مرونة تجعل كلاً منهما يدرك أن النزول عن رأيه ليس معناه الانتقاص من كرامته ، وهو زواج يتطلب بعد نظر ،

بمعنى أن يدرك الطرفان أن الحياة معاً – رغم ما فيها من مشاكل – أجمل من أن يعيش كل منهما منفصلا عن الآخر . وبين هذين النوعين من النجاح توجد درجات متفاوتة من الزيجات التى تتأرجح بين الفشل والنجاح . ذلك لأن الزواج يهدده دائماً الرتابة وعدم التجديد ، والتصوّر الخيالى بأن أى حياة أخرى ، أفضل من ذلك الوضع .

وخلاصة القول أن الزواج ليس نهاية تصل إليها كما تصل إليها القصص التى يردِّد الراوى فى ختامها قائلاً ، « وعاشوا فى هناء وتبات ، وخلفوا صبيان وبنات » ، بل هو عملية بناء وتكوين وتقدم ، تعترضها عقبات تتطلب أحيانا بعض التضحيات وبذل المجهود للتغلب عليها ، والسير إلى ماهو جديد .

فمن النادر أن يكون الحب فى بدء الحياة الزوجية حبًّا كاملاً ناضجاً ، لاسيما الجانب الحسى فى الحب لدى المرأة الذى يحتاج إلى رعاية دقيقة ، لأن المرأة – ولا يتاح لها من فرص الحرية الجنسية قبل الزواج كما يتاح للرجل – لا تستكمل نموها الجنسى إلا فى السنوات الأولى من زواجها . . واتحاد الزوجين جسماً وقلباً لا يتم دفعة واحدة ، بل هو أمر يجب تعلّمه ، وككل تعلّم ، فإنه يقتضى اجتياز مرحلة من المحاولات والأخطاء والقدرة على الاستفادة من التجارب السابقة . . كما أن الثقة والحرية والتقدير هى الأعمدة التى يمكن للحب الزوجى أن ينمو عليها ، وهى التى تقضى على الملل الذى يهدد كثيرا من الأسر . .

يقول الدكتور يوسف مراد فى كتابه « سيكيولجية الجنس » : إن الحب الزوجى يمر فى ثلاث مراحل لا بدّ منها . أولاها مرحلة التكوين الأول ، وهى مرحلة اكتشاف وحماس ، ثم مرحلة الأزمة والتوتر الممهدة لنضج الحب ، فترة توتر وعواصف لا بد منها لاستمرار عملية النمو ، وأخيرا النضج ، وهى مرحلة هدوء واستقرار ، وتكون الخلافات التى كانت قائمة بين الزوجين قد تلاشت فيزداد التشابه بينهما فى العادات والأخلاق والآراء .

أزمة الزواج فى مجتمعنا

تتخذ أزمة الزواج فى مجتمعنا مظهرين : المظهر الأول تأخير سن الزواج ، بمعنى أنه بدلا من أن يعيش الرجل أو المرأة خمسين عاما فى الحياة الزوجية من عمر يبلغ سبعين عاماً مثلاً ، نرى الفرد يعيش اليوم أربعين أو خمسة وثلاثين عاما فقط فى حياته الزوجية . وهذا عكس ما كان عليه الأمر فى القرن الماضى ، بل وفى الريف حتى يومنا الحاضر ، حيث يتزوج الولد بمجرد بلوغه النضج الجنسى من فتاة ربما لم تبلغ هذا النضج . وسبب ذلك أن الزواج فى الريف منفعة اقتصادية . فالأسرة تزوج ابنها كى تضم إلى أفرادها عضواً جديداً يساعد على الإنتاج ، الإنتاج المادى والإنتاج البشرى معاً ، ذلك لأن النّسل وكثرة الأولاد يساعدون الفلاح فى حياته الاقتصادية ، بعكس الأمر فى المدينة حيث يكون الأولاد معناهم خسارة اقتصادية مستمرة بالنسبة لوالديهم فى شئون تعليمهم وصحتهم وملبسهم ، مما يجعل انتشار الوسائل لمنع الحمل فى المدن أمراً ضروريًّا . إذن فتأخير سن الزواج مظهر من مظاهر هذه الأزمة بحيث إن السن ارتفعت إلى مابين الثلاثين والخامسة والثلاثين بالنسبة للرجل ، وإلى مابين الخامسة والعشرين والثلاثين بالنسبة للفتاة ، ولو أن النسبة الأخيرة غير مستقرة لأن الرجل هو الذى يحدّد فى مجتمعنا متى يتزوج ومن يتزوج ، ويفضل هنا فى الشرق أن تكون الفتاة أصغر من الرجل بعشر سنوات فى المتوسط . وإذن فتأخير سن الزواج مرتبط باتساع المدن على حساب القرى ، وبانتشار الطبقة الوسطى التى تزداد عددا بانتشار المدن . أما المظهر الثانى لهذه الأزمة فهو وجود عدد ليس بالقليل من الذكور والإناث يظل بلا زواج طيلة حياته ، وقد لا يؤثر ذلك على الرجل بقدر ما يؤثر على المرأة ،

لأن وظيفتها الأولى فى مجتمعنا هو الزواج ، ولأن فرص الحرية المتاحة لها أقل بكثير مما لدى الرجل غير المتزوج .

وإذن فهناك أزمة فى الزواج ، فما سببها ؟ أول هذه الأسباب هو الغلاء ، ويذكر الأستاذ الصاوى فى كتابه « زواج الشباب » أن هناك كثيرين من الشباب من ذوى الدخل المحدود يعانون فى سبيل العيش ، ومع أن الواحد منهم قد لا يدخن ولا يشرب الخمر فإن مرتبه سرعان مايتبخر أمام حرارة الأسعار المرتفعة ، والسلع الغالية ، وتكاليف الحياة الباهظة . وربما تمر عشرة أعوام على تخرجه ليجد نفسه أعزل من سلاح المال ، وتمضى الأيام وقد جاوز الثلاثين ، وهو على ماهو عليه ، بل إنه يرى أن الحالة المالية تزداد تحرجا يوما بعد يوم ، كلما ازداد دخله جنيها ازداد الغلاء جنيهين ، وكأنما هذا الشاب قد كره أن ينجب لهذا العالم نسلاً يقاسى ما يقاسيه من آلام وصدمات ، قد أنفق العمر فى تحصيل العلوم وتزويد النفس بمختلف الثقافات ثم يحيا حياة الكفاف ، لا يستطيع أن يؤسس أسرة مع فتاة يحبها .

وليس التفكير فى الغلاء مقصوراً على تكاليف الأولاد والبيت ، بل إنه عقبة من أول الأمر ، فحين يغمض الشاب عينيه عن هذه التكاليف التى سيتكلفها فيما بعد ، فإنه يجد نفسه مضطرا إلى إنفاق مبالغ فيما يسمونه الشبكة والجهاز والعرس وهى تكاليف — لو كان هناك جانب من العقل والتفكير السليم وعدم الاهتمام بما يقوله هذا أو ذاك — لأمكن الاستغناء عن شئ كثير منها ، ولكنه الاهتمام بالمظاهر والاختلاف على تفاهات يظنها بعضهم هى كل شئ ، مع أن هذه المظاهر بنت ليلتها وسرعان ما تزول وتبقى بعد ذلك العلاقة الزوجية القائمة على المحبة المتبادلة .

وهكذا نرى أن الغلاء عقبة أولى فى سبيل الزواج ، وأن كثيرين من الشباب كان كل حلمهم هو أنهم بمجرد التحاقهم بعمل سيبحثون عن المرأة التى يعيشون معها فى بيت سعيد ، لكنهم حين خرجوا إلى الحياة العملية وواجهتهم مشاكلها الاقتصادية

ووجدوا أنفسهم غير قادرين على تحقيق أحلامهم ، لجأوا إلى وسائل أخرى لإشباع غرائزهم ، وحين وصلوا إلى مركز اجتماعى أو اقتصادى يؤهلهم لزواج طيب كانوا قد تعودوا هذا اللون من الحياة البوهيمية أو الشاذة ، فعدلوا عن – أو على الأقل أجلوا – مشروع الزواج إلى أجل غير مسمى .

واتقاء لشر الظروف الاقتصادية نجد صنفا من الشباب يشترط لزواجه شروطا فيها الحماية مما قد يتعرض له فى مستقبل زواجه ، وغالبا ما تتخذ هذه الشروط مظهرا اجتماعيا معينا . فكثير من فتيات الطبقة الوسطى يردن أن يعبرن عن طريق زواجهن من طبقتهن إلى طبقة أعلى . كما أن كثيرا من الفتيات اللاتى ينشدن التعليم العالى إنما ينشدن هذا اللون من التعليم لكى ينلن فرصا فى الزواج أفضل من تلك التى كانت أمامهن لو بقين بدون تعليم ، ويظل فرق المستوى محفوظا بينهن وبين أزواجهن كأن يكون الزوج أعلى مركزا فى البيئة الاجتماعية أو أوفر مالا ، ولما كان هذا الصنف من الأزواج لا يوجد بالوفرة الكافية فى السوق ، أدركنا لماذا يظل عدد كبير من المتعلمات الجامعيات بلا زواج ، إلاّ إذا أدركن واقع المجتمع والحياة . فمثلا أنا أعرف فتاة لم تتزوج حتى الآن لأنها لا تريد أن تتزوج إلاّ دكتورا – أى دكتور ، ليس من الشرط أن يكون طبيبا بل يحمل لقب دكتور سواء كطبيب أو دكتور فى الأدب أو العلوم . وأخرى لا تريد أن تتزوج من شخص يقل فى مركزه عن مركز زوج أختها الكبرى ، كما أعرف أسرة لا تتزوج فتياتها إلاّ من تجار ، باعتبار أن الموظف محدود الدخل ، وقد أمكن لهذه الأسرة بالفعل أن تزوج فتاتين بتاجرين ، ولو أن إحداهما تزوجت رجلا فى الأربعين وهى ماتزال فى الثانية والعشرين ، ولكن إذا علمنا أن للأسرة أربع فتيات أخريات أدركنا لماذا لم يتزوجن وقد أشرفت كبراهن على الثلاثين . وإذا كنا نجد عذرا فى ذلك بالنسبة للفتاة غير المتعلمة ، حيث إن الزوج بالنسبة لها هو كالوظيفة بالنسبة للرجل ، أى أن مستقبل الفتاة متعلق بمستقبل زوجها ؛ كتعلق

مستقبل الشاب بوظيفته ، فهى تختار الزوج الأغنى كما يختار هو الوظيفة ذات المرتب الأعلى ، فإننا لا نجد عذراً بالنسبة للفتاة التى تعلمت واشتغلت واستقلت اقتصادياً ، حيث أن مستقبلها لم يعد مرهونا بمركز زوجها ، إن هؤلاء المتعلمات لا فرق بين عقليتهن وعقلية أمهاتهن رغم ما بينهن من اختلاف فى المظهر والتعليم . وليس معنى هذا أن يتم الزواج بين أى شخصين ، فلا شك أن هناك شروطا عامة يجب توافرها ليتناسب الزوجان معاً بقدر الإمكان ، وقد أوجدنا هذه الشروط لنضمن أكبر نسبة من النجاح بين الزوجين لا لنعطل الفرص أمام الشباب فنعكس الغرض الذى من أجله وضعنا هذه الشروط .

لكن هناك صنفاً من الشباب لا يهمه كثيراً هذه المظاهر الاجتماعية ، ومع ذلك فهو لا يقنع بالطرق القديمة التقليدية للزواج فقلما نجد اليوم شابا يخطب فتاة لم يرها وكثيرون لا يقنعون بمجرد الرؤية ، فكم من تمثال جميل لا حياة فيه ، بل هو يريد أن ينشئ صداقة بينه وبين الفتاة فى أول الأمر ، ثم تتحول هذه الصداقة إلى علاقة عاطفية كما يقرأ فى الكتب ويرى فى دور السينما ويشاهد أصدقاءه من حوله يفعلون . وأخيرا يستطيع التقدم إلى أسرتها . ومن أسباب ذلك أن الشاب من الذكور يسمع ويرى بعينيه كثيرا من فضائح الآنسات بل السيدات المتزوجات ، حتى ليعتقد بعضهم أنه ما من فتاة أو سيدة فضلى (إلا أمه وأخواته بالطبع) مما يجعله يحجم إحجاما شديدا عن الزواج ، وهذا يدفع بكثيرين إلى محاولة الاطمئنان إلى مسلك الفتاة قبل الزواج بها ، ولو أنه يمكن أن يقال لهؤلاء إنه ليس هناك ما يمنع الفتاة إذا أرادت أن تمثل دور التحفظ والتمسك بالفضائل مع الشخص الذى يريد الزواج منها لكى يزداد تقربا إليها ويزداد اقتناعا بفضائلها ، بينما هى تلهو فى الوقت نفسه مع غيره ممن لا أمل لها فى الزواج بهم .

ولكن هناك لونا آخر من الشباب يصر على هذه الصداقة ، لأنه يريد فى الواقع

إيجاد عاطفة قوية تبرر له هذه العلاقة الاجتماعية ، وما تحمله هذه العلاقة من مسئوليات وتبعات . وكأنما يقول : ما الذى يجعلنى أتحمل هذه المسئوليات إن لم تكن هناك فتاة لا أستطيع أن أتصور الحياة بدونها ، هنا فقط أقبل الزواج ، أما إذا كانت كل فتاة بالنسبة لى سواء ، فلست بحاجة إلى الزواج ، وهو لهذا يريد الصداقة والعاطفة لأنها تقرب بين الشخصين وقد التقيا فى سن متأخرة ، ولكل منهما عادات تختلف عن الآخر ، وبهذا لا يصبح زواجهما أمراً فجائياً بالنسبة لهما ، وعليهما أن ينتظرا نتيجته كما ينتظران نتيجة ورقة من أوراق اليانصيب . ولكن الفرق بين اهتمامات المرأة واهتمامات الرجل فى مجتمعنا يجعل حدوث هذه الصداقات أمرا غير متيسر .

أما فيما يتعلق بالفتيات فإنهن كثيرا ما يرفضن هذه الوسيلة لأسباب عدة منها تقولات الناس ، وما تمنعه هذه التقولات من فرص أفضل ، ومنها أن يظن الشاب أنها سهلة الانقياد فينصرف عنها ، وما أكثر الشباب الذى لا يدرك أن الفتاة التى تخب تمنح حبيبها ما لا يمكن أن تمنحه لأحد غيره ، ومنها انها تخشى ألاّ يكون الشاب جادا فى هذه العلاقة وأن تكون ضحية عبث سخيف غليظ .

وهكذا نرى أن سوء التفاهم بين الجنسين يعوّق فرص الزواج ، ويساعد على خلق هذه الأزمة واستمرارها . فلا شك أن هناك شباباً يقصدون فعلا الزواج من وراء هذه الصداقات ، وهناك فتيات يتمنين فعلاً إيجاد هذه الصداقات ، ولكن كيف يمكن لشخصين يشك كل منهما فى الآخر أن يقبلا التعاون فى حياة واحدة تحتاج إلى الحب والإيمان والإخلاص قبل كل شئ ؟ وهكذا بينما نجد أن جعل القيم المادية فى الزواج هو كل شئ يعطل كثيرا من فرص الزواج ، نجد من ناحية أخرى أن طلب الصداقة بين الفتيان والفتيات وتعذّر حصولها على وجه مرضٍ يؤدى إلى إحجام فى الزواج

وإذا كان التبكير فى الزواج له مضاره ، فمما لا شك فيه أن لتأخيره مضاره كذلك ذلك أن الشباب يواجهون هذا الموقف بحل من ثلاثة حلول لا يخلو أحدها من ضرر

فإما أن يتم إشباع الغريزة مع الجنس الآخر بطرق غير مشروعة اجتماعياً ، وهذا معناه انتشار الانحرافات الاجتماعية كالبغاء والزنا والفضائح العائلية ، وإما أن يشبع كل جنس غريزته بغير الاتصال بالجنس الآخر وهذا معناه الانحرافات الجنسية ، وإما أن يكبت غريزته كبتا تاما وهذا يسبب – مع طول الزمن – شذوذا نفسيا لا سيما بعد الثلاثين كما هو مشاهد بالنسبة لكثير من الفتيات . هذا إذا نظرنا إلى الزواج باعتباره وسيلة لإشباع الغريزة ، وهى فى الواقع ناحية واحدة من بين نواح أخرى كثيرة اجتماعية واقتصادية وعاطفية . كذلك لوحظ أن عددا كبيرا من الفتيات اللاتى يتزوجن فى سن متأخرة ، تتعسر ولادتهن ويكون مردّ ذلك فى أغلب الأحوال إلى تصلب بعض الأوعية النسائية بسبب الكبر . وعلى كل حال فنحن لسنا فى مجال تبيان مساوئ الزواج المتأخر ، فهذه حالات نوردها على سبيل المثال لكى ندرك أن أزمة الزواج يتولد عنها أزمات أخرى ، قد لا يفيد الزواج نفسه – فيما بعد – فى معالجتها .

والواقع أن أزمة الزواج يمكن أن تخف حدتها إلى حد كبير إذا لم نغال فى مطالبنا المادية ، وإذا أدركنا أن الحب – وإن لم يكن هو كل شئ فى الزواج – شرط أساسى من بين شروط أخرى ، وإذا استطاعت الأسرات أن تخفف ما أمكن من كابوس التكاليف التى يتطلبها العرس فلا تختلف حول أمور تعتبر تافهة بالنسبة للغرض الأسمى الذى يهدف إليه الشاب والفتاة ، وإذا أتيح للشباب – فتيانا وفتيات – لون من المجتمعات التى فيها يتعارفون ويتبادلون الآراء والأحاديث حتى يستطيع كل أن ينمى شخصيته تنمية حقيقية ، وأن يطمئن إلى شريك حياته ومستقبله . أقول لو تنبهنا إلى كل ذلك فإن أزمة الزواج ستخف حدتها إلى حد كبير أما انعدامها التام فمتوقف على تطوير أساسى لمجتمعنا .

الطّلاق

كثيرا ما يبدأ الطلاق قبل الزواج ، وليس فى هذا شئ من الغرابة لو أننا تأملنا ما يقع حولنا من حوادث الطلاق ويكون السبب – أحيانا – لأن الزوجين ما كانا يعرفان بعضهما ، فتشعر الفتاة بأنها ضحية أو فريسة ، وأنها مرغمة على الزواج برجل لا تعرفه ولا تحبه ، بينما يدخل الرجل إلى الحياة الزوجية وعقليته عقلية السيد المسيطر أو المالك الذى يضيف إلى متعه متعة جديدة . مثل هذا الزواج يكون احتمال الطلاق فيه كبيرا لأن الانسجام بين طرفيه مستحيل التحقيق . وأحيانا مايبدأ الطلاق قبل الزواج فى ظروف مختلفة تماما عن الظروف الأولى ، فيكون الشخصان على علاقة ببعضهما ، وكل منهما يعرف الآخر بل يحبه حبا عميقا ، ولكنه يكون حبا مريضا ، فقد يحب أحد الطرفين الآخر لا كزميل له بل ليقوم فى حياته بدور الأم أو دور الأب على أن يظل هو طفلاً بالنسبة له ، أوكأن ينظر أحدهما إلى الآخر نظرته إلى شخص خيالى ، وليست هذه النظرة دليلا على الاحترام والتقدير بل أحيانا ما يكون سببها الخوف أو الكبت المريض . وأحيانا ثالثة يكون السبب الرئيسى الذى يجعل أحد الزوجين يفكر فى الطلاق ثم يهدّد به ، ثم ينفذه ، هو تلك الطريقة التى كان يستخدمها فى طفولته عندما لا يجيب له إخوته أو والده طلبه فيهدّد بترك المنزل ثم يغادره فى هذه الحالات جميعها يكون الطلاق قد بدأ قبل أن يتم الزواج ، وفى هذه الحالات يكون هناك شئ من الأمل فى تفادى الطلاق عند الذهاب إلى الطبيب النفسى ، فقد يعرف الطبيب النفسى الأسباب اللاشعورية التى تؤدى إلى استمرار الخلاف ، وبتحليل الزوج أو الزوجة أو الإثنين معاً ، قد يستطيع الطبيب أن يزيل الأسباب التى تعمل

على الجفاء بينهما وتشريد أطفالهما إن كان لهما أطفال .

والواقع أن هناك درجات متفاوتة من التماسك فى الزواج ، مابين علاقة لا تدوم إلا أياماً معدودات كما هو شأن زواج كواكب هوليود بنجومها ، وبين الارتباط الأبدى الذى تفرضه الكنيسة الكاثوليكية والتى قد تسمح بانفصال جسدى الزوجين ولكنها لا تسمح بانفصال روحيهما بمعنى أنه لا يمكن لأحدهما أن يتزوج آخر ما دام الطرف الثانى على قيد الحياة . .

الزنا والعقم :

وأهم أسباب الطلاق عند معظم الشعوب هى الزنا والعقم ، والسبب الذى كان يعطل كثرة الطلاق فى المجتمعات المتأخرة هو سبب اقتصادى ، لأن شراء امرأة أخرى يتطلب مالاً قد لا يتحمله الرجل ، أما فى مجتمعاتنا الحديثة فإن الذى يعمل على الحد من الطلاق هو نمو الوعى والضمير الإنسانى . وقد اقترح أحد القضاة الأمريكان – قبل الحرب العالمية الأولى – حلاً لمنع الطلاق ، ذلك أن يعيش الفتى والفتاة اللذان ينويان الزواج حياة زوجية لمدة محدودة على أن ينفصلا فيما بعد إذا لم تتفق طباعهما ، ولكن صاحب هذ الاقتراح نسى أمرا هاما ، ذلك أن فكرة الزواج نفسها تتضمن الديمومة رغم احتمال وجود الطلاق فيما بعد . وهناك فرق كبير بين أن يحصل الإنسان على جواز سفر ليذهب إلى بلد يجول فيها سائحا مدة من الزمن ثم يعود إلى وطنه ، وإنسان آخر يحصل على جواز سفر ليقيم نهائيا فى بلد آخر .

لكن ماهى أسباب فشل الزواج ؟ عندما يتشاجر زوج مع زوجته فإنه يحاول أن يبرر مسلكه قائلا بأنه نتيجة تصرفها ، وتحاول هى بدورها أن تبرر تصرفها بأنه رد فعل لمسلكه ، ويمكن لشجارهما أن يمتد حتى ينتهيا إلى السبب الرئيسى : ذلك أن كلا منهما قد تزوج الآخر .

اختلاف طبيعة الزوجين :

أما أهم أسباب الخلاف فهو أولاً اختلاف طبيعة كل من الزوجين اختلافا كبيرا عن الآخر ، لا سيما إذا كان فى ناحيتين . الاختلاف فى مستوى الذكاء ، والاختلاف فى السرعة التى يتناول بها كل من الزوجين شئون الحياة . ويعتبر بعض علماء النفس أن هذا الاختلاف الطبيعى من أخطر ما يمكن على الزوجين ، لأنه لا يمكن تغييره ، بعكس الطباع الأخرى التى يمكن تكييفها إلى حد ما . فإن من يسرع فى أكله أو مشيه أو إدراكه للنكتة يصعب عليه أن ينتظر زميله البطئ ، وكذلك البطئ من العسير عليه أن يسرع فيلحق بزميله الذى يلهث . كذلك الاختلاف فى المزاج ، كأن يكون أحدهما عصبيا يثور لأتفه الأسباب والآخر باردا كالصخرة مما يزيد فى ثورة زميله . وليس معنى هذا أن يكون الاثنان من مزاج واحد وإلاّ لكانت هناك خناقة يومية فى منزل مكوّن من زوجين عصبيّين ، بل لا بد للزوجين أن يختلفا بمقدار وأن يتفقا بمقدار . والواقع أن ما يبقى على الزواج هو شئ واحد . الرغبة والعزيمة فى أن يعيش الزوجان معا .

اختلاف الطبقة الاجتماعية أو الجنس أو الدين أو العمر :

وأحيانا ما يكون الاختلاف ناتجاً عن اختلاف فى الطبقة الاجتماعية أو الجنس أو الدين أو العمر ، كأن يكون أحدهما من طبقة فقيرة والآخر من طبقة مترفة ، فبعد أن تمر أيام المتعة الأولى نجد – فى أغلب الحالات – أن الزوجين يكتشفان ما بينهما من هوّات سببها عادات كل منهما بسبب الطبقة التى ينتمى إليها . ومن هنا نستطيع أن نفسر ميل المجتمع إلى أن يعارض كل زواج يكون فيه الاختلاف بين الزوجين كبيرا . ومع ذلك فهناك زيجات من هذا النوع تنجح لأن المهم فى الزواج هو أن

تكون هناك رغبة متبادلة من الطرفين فى أن تدوم علاقتهما ، وإن كان احتمال النجاح فى هذه الحالات التى ذكرناها هو احتمال ضعيف . وكثيراً ما يكون الأطفال ضحية مثل هذه الزيجات ، لأنهم لا يستطيعون أن يلائموا بين الاختلاف الكبير القائم بين والديهم فإذا كانت عقيدة الوالدين مثلا مختلفة ، فإن الطفل يضطرب بين العقيدتين مما يسبب له أزمات نفسية وفكرية عنيفة .

عدم نضج الزوجين :

ومن أهم أسباب الخلاف بين الزوجين هو عدم نضجهما ، أو عدم نضج أحدهما ، فإذا نحن استثنينا البيئات الريفية غير المثقفة ، والتى لا يتطور أفرادها كثيراً بعد سن المراهقة ، نجد أن الزيجات التى تتم فى عمر مبكر تبوء غالبا بالفشل ، لأن أفرادها لا يعرفون معنى المسئولية ولهذا رأى علماء النفس أن خير سن للزواج فى مجتمعنا لا يكون قبل الثامنة والعشرين بالنسبة للرجل ، والخامسة والعشرين بالنسبة للفتاة ، عندما يكون كل منهما قد أدرك مسئولياته وحدّد شخصيته وأهدافه وعرف كيف يختار زميله ، فليس يكفى أن يقع المراهق فى حب فتاة فى مثل سنه كى يتزوجها . ويقول البعض إننا لو كنا فى ظروف اقتصادية أفضل لتمّ الزواج فى عمر مبكر بدلاً من أن يظل الشباب فى إشكال جنسى مدى عشر سنوات أو خمس عشرة سنة . والواقع أنه حتى لو أتيح للشباب هذه الظروف الاقتصادية الميسرة فإننا يجب ألا نشجع الزواج المبكر ، لأن الإنسان – بخلاف الحيوان – لا يتم نضجه الفكرى والعاطفى فى نفس الوقت الذى يتم فيه نضجه الجنسى ، فهناك فترة من الزمن يتطور فيها الشاب فكرياً وعاطفياً منذ بدء سن المراهقة ، ومن الخطر أن يتورط فى علاقة ، تفترض الاستمرار ، فى هذه السن المبكرة ، وقبل أن تستقر عواطفه ويتحدد اتجاهه وهدفه فى الحياة . إن بعض القبائل كانت تشترط على الشاب قبل أن تسمح له بالزواج أن يقتل أحد الأعداء

ويحمل رأسه هدية لفتاته ، مدللاً بذلك على أنه بلغ مبلغ الرجولة التى تأذن له بالزواج . ونحن لا نطالب اليوم بمثل هذا المطلب ، ولكننا نطلب من الشاب أن يقهر كثيراً من طيشه وقلقه وسرعة تقلبه قبل أن يقدم على الزواج .

اختلاف الجنس :

كذلك كثيرا ما نجد الزوجين يتشاجران لمجرد أن كلاً منهما ينتمى إلى جنس مخالف للآخر ، هذا إلى جنس الرجال ، وهذه إلى جنس النساء ، لذلك يكون كل منهما مشغولا بمهمام جنسه ، منصرفا عن العناية بالآخر . فغالبا ماتكون المرأة منشغلة عن زوجها ومهامه بعملها المنزلى ، وتربية أطفالها ، بينما هو يوّد لو تلتفت قليلاً إلى مشاريعه أو إلى ما يلقاه فى عمله من نجاح أو إخفاق ، وفى الوقت نفسه هو منشغل عن زوجته بأعماله ومقهاه وأصدقائه ولا يتنبه إلى ثوب جديد اشترته ليمتدحه لها . فهذا الإهمال المتبادل يترك أثراً عميقاً فى نفس كلّ من الزوجين ، وليس له من دلالة إلاّ على أن كلاً منهما فقد اهتمامه بالآخر .

الغيرة :

ويظن الكثيرون أن الغيرة من مستلزمات الحب ، والواقع أن وجود الغيرة معناه عكس ذلك الفهم ، معناه إما عدم ثقة فى النفس أو عدم ثقة فى الشخص الذى تغار عليه . وإذا اشتدت الغيرة أصبحت سببا من أسباب الخلاف العميق بين الزوجين ويفسرها أصحاب التحليل النفسى على أنها من بقايا تلك الغيرة التى كان يحس بها الطفل حين كان يجد أمه موضع الرعاية من أبيه ، ذلك لأن الطفل يعتقد فى صغره أن أمه له وحده ، لكنه مايلبث أن يكتشف شخصا آخر يشاركه هذا الحب بل ربما توليه أمه حناناً أكثر ، ذلك الشخص هو الوالد ، ولهذا فإن الطفل لا يستطيع أن يستأثر

بها وحده فيغار من أبيه على أمه ، وأحيانا ما تنقلب هذه الغيرة إلى عقدة نفسية فى هذه السن المبكرة ، تظل كامنة فى الشخص حتى يتزوج فتظهر من جديد ، وكما كان يغار على أمه من أبيه فى طفولته ، فهو يغار على زوجته من أى شخص ثالث وقد تكون الغيرة أحياناً لوناً مما يسمى فى التحليل النفسى بالإسقاط ، أى إلصاق صفة فى نفس الشخص بشخص آخر واتهامه بما هو فيه من تفكير آثم ربما يريد هو أن يقترفه . فالذى يغار على زوجته يُسقط أحياناً على زوجته رغبته هو فى الانفصال عنها والاتصال بأخرى ، وبدلا من أن يواجه نفسه ويصارحها بما يعتمل فيها وينتصر عليها ، يكبت هذه الرغبة ويدافع عن نفسه دفاعا لا شعوريا وكأنه يقول « لست أنا الذى أريد أن أتصل بأخرى ، بل إن زوجتى هى التى تريد أن تتصل بآخر » ، ويجد فى محاربة زوجته ما يخفف عنه الألم الذى تحدثه فى نفسه رغبته المكبوتة .

المرض النفسى :

وهكذا نرى أن الغيرة أحياناً ما تكون مرضاً نفسيًّا ، والمرض النفسى ليس دائماً هو الجنون الذى يؤدى بصاحبه إلى مستشفى الأمراض العقلية وتصبح الحياة معه مستحيلة ، بل أحيانا ما يكون شذوذا يتناول الشخصية ، ويمكن للآخرين أن يتعاملوا معها ولكن صاحب هذه الشخصية لا يترك الأمور تسير فى هدوء بل إنه يعقدها لأسباب نفسية تكونت منذ طفولته على النحو الذى شرحناه فيما يتعلق بالغيرة فالمصاب بعقدة النقص مثلا يبحث عن زوجة قوية أو ذات مركز أعلى ، تستطيع أن تتحمل هى المسئولية وتواجه أعباء الحياة العادية ، ولكنه ما يلبث أن يشعر بسطوتها عليه ويؤول قوة شخصيتها تأويلا سيئا ، وبذلك يتصارع فى نفسه جانبان ، جانب يحتاج إلى شخص أقوى منه وجانب يثور على هذه الرغبة . والأمر على عكس ذلك مع

السيدة المصابة بعقدة النقص فإنها تبحث عن زوج أضعف منها لا تخشى منه أن يسيطر عليها ، لكنها ما تلبث بدورها أن تحتقره وتحتقر ضعفه . وأمثال هؤلاء الأزواج إذا طلقوا شركاءهم متخيلين أنهم سينجحون فى زواجهم التالى ، يكونون مخطئين ، لأن العيب ليس فى شريكهم بل فيهم ، وينتهى زواجهم الجديد إلى مثل ما انتهى إليه زواجهم السابق . وأمثال هؤلاء الأشخاص يسمون بالعصابيين ، والعصابى هو شخص لا يصل إلى النضج التام أبدا ، ولا ينتهى إلى حل حاسم لمشاكله ، ولا يستطيع تحمل المسئولية ، ولا يستوعب معنى الحياة الجنسية استيعابا تاما . وبكلمة واحدة فإن الصفة الرئيسية للعصابى هو عدم الثقة فى نفسه ، والشخص الذى لا يثق فى نفسه يحاول أن يشعر بأهميته على حساب تحقير الشخص الآخر .

عمل الزوجة فى الخارج :

ومن بين أنواع الخلاف الزوجى هو ذلك الذى ينشأ بين الزوج وزوجته إذا كانت الزوجة موظفة أو عاملة . فكثير من الأزواج ينسون أن زوجاتهم يعملن مثلما يعملون ويتعبن مثلما يتعبون ، وحين يعودون إلى منازلهم يطالبونهن بأن يكون كل شئ مريحا ، ومعداً ولكن هذا الإشكال يخفى وراءه إشكالات أخرى أعمق ؛ فكثير من الأزواج الذين قبلوا الزواج بنساء يعملن فى الخارج لا يتنازلون فى أعماقهم عن التقاليد الممثدة فى ماضيهم البعيد ، والتى تقول بأن مكان المرأة الطبيعى هو المنزل ، ولهذا فهم رجال لم يستقروا فى حقيقتهم بشأن الموافقة على عمل المرأة خارج المنزل ، رغم أنهم يرضون عن هذا فى عقلهم الواعى ، ولا تكون مطالبتهم بأن يكون المنزل معداً ومريحاً ، وثورتهم عند مشاهدتهم لأى اضطراب بسيط فى نظام المنزل إلاّ ثورة ظاهرية تستر وراءها ثورتهم الحقيقية التى تغذيها التقاليد ، وهى تقاليد تؤمن بسيطرة الرجل . فالزوج فى صراع مع نفسه وينعكس هذا الصراع فيصبح صراعا مع زوجته .

وفى الوقت الذى يريد فيه من زوجته أن تنتظره فى المنزل بابتسامة وتسأله عن متاعبه وهمومه ، لا يحاول هو أن يقف نفس هذا الموقف منها ليشاركها متاعب عملها كذلك ، أما إذا كان الزواج مصاباً بعقدة نقص فإن كل نجاح لزوجته فى عملها الخارجى يزيد من توتر الموقف معها . وعلى أية حال فإن من أشقّ مهام الرجل فى الحياة هو أن يكون زوجاً لامرأة ناجحة مشهورة . والمرأة التى تظن أنها ترضى زوجها إذا هى تخلت عن وظيفتها أو عملها إنما هى مخطئة فى فهم السبب العميق لثورات زوجها عليها ، فهذا النوع من الأزواج كالأخطبوط لا يكتفى بإجابة مطلب واحد ، فهو يطلب من زوجته أن تتخلى أولاً عن عملها ثم أن تصبح خادماً له . . وهكذا حتى تصبح فى النهاية بلا عمل ولا زوج . ومن ناحية أخرى فإن عمل المرأة جزء من شخصيتها التى عرفها بها زوجها يوم تزوجا ، فإذا هى تخلت عن عملها فلا شك أنه سيحدث تغيير عميق لشخصيتها لا تتفق والفتاة التى عرفها زوجها ذات يوم وتعلق بها ، فإذا لم يكن أساس الزواج المشاركة الجديدة المتبادلة فإن أى خلاف بسيط يمكنه أن يؤدى إلى كوارث .

الاندفاع العاطفى :

وهنا ندرك نظرية هامة من نظريات التحليل النفسى ، ذلك أن كل حب يخفى وراءه كراهية فى اللاشعور ، وتفسير ذلك أننا نضحى دائماً بأنفسنا فى سبيل الشخص الذى نحبه ، ويختزن اللاشعور هذه التضحيات منتظرا الهفوة التى تجعله ينفجر بما طال كبته فيه ، وإذا بأقرب الناس إلينا يصبح أعدى أعدائنا ، ونذكر كل تضحية سابقة بأنها كانت « جميلا » منا عليه ، وكلما تذكرنا مقدار تضحياتنا ازداد انفعالنا وكراهيتنا . بعكس الأمر مع الشخص الذى ماكانت له كبير علاقة بنا ، فإنه إذا آذانا قد نغضب منه غضبا وقتيا ثم ننسى كل شئ .

والمثل البلدى الذى يقول « مامحبة إلاّ بعد عداوة » ليس مثلاً بلا معنى ، بل إن معناه أن العداوة بدورها تخفى محبة فى اللاشعور ، ذلك أن المحبة والكراهية كلها درجات من درجات الاهتمام بالآخر ، أما عدم الاكتراث فهو النقيض الحقيقى لكلا الشعورين .

لهذا فإننا لا نعجب عندما نسمع أن زوجين كانا يهيان ببعضهما قد طلبا الطلاق ، وما عاد أحدهما يتحمل رؤية الآخر والواقع أنه كلما كانت العلاقة بين الشخصين أهدأ وعلى مستوى عقلى أكثر مما هى على مستوى عاطفى ، كانت الكراهية المكبوتة أقل ، وبالتالى كان احتمال الخلاف والطلاق أقل . ولهذا أيضا فإن الاندفاع العاطفى ليس مظهرا طيبا لدى المقبلين على الزواج ، لأن « الولهان » يتطلب من الشخص الذى يحبه أن يكون على درجة من المثالية قد تكون بعيدة الصلة بالواقع ، فإذا تكشفت له الحقيقة ووجد أنه لا يتعامل إلاّ مع إنسان له نقائصه إلى جانب ميزاته أحس أنه خدع وكره نفسه كما يكره الشخص الآخر .

العجز الجنسى

الشائع أن العجز الجنسى سبب من أسباب الخلاف بين الزوجين ، والصحيح هو أن الخلاف بين الزوجين هو سبب العجز الجنسى فى كثير من الحالات . ذلك أن الحياة الجنسية حساسة للغاية بالنسبة لكل ما يطرأ على الحياة الزوجية من اضطراب ، بينما يكون المظهر ما يزال محتفظا بتماسكه . ويمكن تشبيه ذلك بآلة تسجيل الزلازل فى المرصد ، فهى تسجل أية هزة أرضية قد لا يحس بها السكان الذين يحيطون بالمرصد . فإذا ماتزوج شاب من فتاة لا يريدها لكنه مضطر إلى الارتباط بها تحت ضغط ظروف معينة ، فإنه لا يستطيع القيام معها بما نسميه الواجبات الزوجية ، ويكون ذلك العجز إعلانا عن ثورته ، وأنه رغم قبوله ما فرضه

عليه الأهل أو الظروف إلا أنه لا يستطيع أن يحقق الغرض الذى أريد له إلى النهاية ، وكأنه يقول « لقد قبلت ما أردتموه لى ، ولكن ما باليد حيلة ، لقد خرج الأمر من يدى » وهـذا ما يسميه العامة بالمربوط ، ويزعمون أن أحداً عمل له عملا . وأحيانا ما يصيب العجز الجنسى كثيرا من الشباب الذين لم يمارسوا غالبا العلاقة الجنسية من قبل ، ويكون هذا العجز مجرد لون من ألوان التهيب ، ويتوقف الحل على لباقة العروس ، فإن هى طمأنت زوجها المتهيب وأفهمته أن هذا لايضع من شأنه أمامها ، وأن المسألة ليست لها تلك الأهمية البالغة التى يسبغها ، فإنه سرعان مايتغلب على خجله وتهيبه ، أما إذا أبدت دهشتها وخيبة أملها وأشعرته بطريقة ما أنها لم تعد تحترم رجولته كما كانت تحترمها من قبل ، ، فإنها تفقده كثيرا من شجاعته وتفقده هى بدورها إلى الأبد . وهذا ما نعنيه بقولنا إن العلاقة بين الزوجين هى التى تؤثر على العلاقة الجنسية وليس العكس وأحياناً ما يكون سبب العجز الجنسى هو ارتباط الزوج بأمه ارتباطاً شديداً وفى قصة السراب للأستاذ نجيب محفوظ نجد مثالاً واضحاً لذلك فى شخص بطل القصة واسمه كامل رؤية لاظ ، وكان والده قد طلق زوجته وكامل رؤية ما يزال طفلا ، فانصرفت عواطف الأم إلى ابنها وحرمت عليه كل محاولة للاتصال بالجنس الآخر ، فغدا محبا لها دون سواها ، فلما تزوج لم يستطع أن يتصل بزوجته ، بينما استطاع أن يتصل بامرأة أخرى دميمة ، ذلك لأن الزوج فى هذه الحالة لا يعامل زوجته كامرأة يحب روحها وجسدها ، بل إنه يحبها كما كان يحب أمه ، وحبه لأمه هو حب عاطفى خالص قد كبتت فيه الناحية الجنسية ، وقد ذكرنا من قبل كلمة عن غيرة الطفل من أبيه لأنه يشاركه فى حب أمه ، وكأن الطفل يقول لأبيه « إن حبك لأمى ليس حباً خالصاً بل فيه الناحية الجنسية ، أما أنا فحبى لها خالص » ، وعادة ما يكون الحب الأول للمراهق – وهو ما نسميه بالحب الرومانتى أو العذرى – على هذا النحو ، حباً عاطفياً خالصاً بالنسبة للفتاة ، يعتبر الناحية الجنسية مدنسة له ، فإذا

توقف الشاب المراهق عند هذه المرحلة ولم يستطع أن يتعداها إلى الحب الناضج الذى يشمل العاطفة والجسد معا ، فإنه حين يتزوج لا يستطيع أن ينظر إلى زوجته إلاّ نظرته القديمة إلى أمه ، أى يكون حبه لها حبا لا يشمل الناحية الجنسية مما يجعله عاجزاً عن تأدية واجباته الزوجية نحوها .

وقصة السراب تقودنا إلى سبب آخر من أسباب العجز الجنسى ، ذلك أن بطل القصة لم يكن مرتبطا بحب أمه حباً عاطفياً شاذاً فحسب ، بل كان منصرفا إلى عادة من العادات الجنسية الشاذة نتيجة الانطواء على نفسه . ولعل هذه العادة كانت سببا من أسباب ما شعر به من عجز عند الزواج . ذلك أن للحياة النفسية مظاهر تشبه حياتنا الاجتماعية ، فكما أن الجريمة تلقى عقابا فى المجتمع ، كذلك الأمر فى الحياة النفسية حيث تعاقب النفس ذاتها على ماتقترفه من انحراف وشذوذ ، الشاب الذى شذّ فى علاقاته الجنسية قبل الزواج أو أفرط فيها إفراطا غير شرعى قد يصاب بالعجز ، وليس لهذا العجز أى علاقة بالناحية البيولوجية الجسمية ، بل هى مسألة نفسية بحتة ، فهو يعاقب نفسه بنفسه على ما اقترفه وكأن عقله الباطن يقول : إنك لا تستحق هذه الصلة الشرعية جزاء ماافترفت فى الماضى . ومن هنا كانت العقيدة الشعبية أن من يفرط فى شبابه قبل زواجه لايستطيع أن يقوم بواجباته الزوجية فيما بعد ، والمسألة كلها مسألة نفسية بحتة .

ولكننا نهتم هنا اهتماما أكثر بتلك الحالة التى تكون فيها العلاقة الجنسية بين الزوجين منتظمة ، وفجأة يحدث العجز ، وهذا العجز يحدث لأسباب كثيرة قد لا يعرفها إلاّ الطبيب النفسى ، ولكن من الحالات الشائعة أن يكون ذلك نتيجة لاتصال الزوج بامرأة أخرى ، فيعاقب الزوج نفسه على ماافترفه من انحراف ، ويكون عقابه هو عدم قدرته على الاتصال بزوجته ، وكأن عقله الباطن يقول له « إنك لا تستحق هذه الصلة مع زوجتك التى لم تفعل مافعلت » .

ولكن أحيانا ما يحدث العجز بغير أية خيانة من الطرفين ، والعجز فى هذه الحالة هو رمز معناه الانسحاب من علاقة الزواج التى تتبلور فى العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة ، ومعناه فى الوقت نفسه الخوف من تحطيم هذه العلاقة وإلاّ لأفصح الزوج عن رغبته وانفصل عن زوجته بدون أن يضطر إلى الظهور بمظهر العاجز ولكنه كأنه يريد أن يقول لزوجته « انظرى إن الموقف خارج عن يدى ، ولا حيلة لى فيه » وبذلك يجد ما يبرر له فيما بعد الانفصال الذى ربما تبدأ هى بالحديث عنه ، وذلك كله بغير أن يواجه الموقف بصراحة . فهذا العجز وسيلة للاحتجاج على العلاقة السيئة بزوجته ، وهى علاقة قد يكون ظاهرها النجاح ، لأن الزوج يكبت كراهيته لزوجته ولا يستطيع أن يفصح عنها معلنا حبه الظاهرى ، لأسباب ربما تتعلق بالأولاد ، وربما تتعلق بالفضيحة الاجتماعية ، وربما تتعلق بعدم وجود حل آخر أمامه أفضل مما هو فيه ، وهكذا تسجل أعماقه هذه الهزة النفسية عن طريق ظهور العجز الجنسى فجأة ، بينما يبدو كل شئ متماسكا فى الظاهر . وفى قصة « أبو سيد » للدكتور يوسف إدريس مثال على هذه الحالة ، فنحن نجد أن « أبو سيد » يكتشف عجزه الجنسى فجأة ، ويلجأ إلى كل الطرق البلدية والطبية (التى تعالج الأمر على أنه مرض جسمى) فلا يفلح شئ منها فى إعادة الرجل إلى حاله الأولى . ولكن مؤلف القصة لا يطلعنا على وجه الخلاف المستتر بين الزوج والزوجة والذى يكمن وراء هذا التطور بالنسبة للزوج ، إنما هو يسجل ما يشاهده من مظاهر ، وهذا هو الفرق بين تلك القصة ورواية السراب التى ذكرناها للأستاذ نجيب محفوظ ، حيث نجد فى رواية السراب المبررات التاريخية فى حياة البطل والتى تسبب عنها عجزه أمام زوجته رباب ، ولعل هذا راجع إلى طبيعة فن كلٍّ من القصة القصيرة والرواية .

أما البرود الجنسى فهو وسيلة التعبير عن العجز الجنسى لدى المرأة ، وهو أكثر شيوعا لدى النساء مما هو لدى الرجال ، لأن كثيراً من الأزواج لا يهتمون بإشباع

حاجة زوجاتهم ، فلا يكون ردّ الفعل من المرأة إلاّ برودها ، أى عدم الاستجابة لزوجها . وربما كانت النساء من قبل لا يعتبرون أن من حقهن إشباع رغباتهن ، لأنهن لسن إلاّ فى خدمة مآرب الرجل أما فى العصر الحاضر فإن المساواة التى تطالب بها المرأة لا تشمل المساواة الاجتماعية والسياسية فحسب ، بل والمساواة فى أدق علاقة لها بالرجل . ولهذا فإنها حين تجد نفسها مهضومة الحق فى هذه العلاقة فإن دفاعها الوحيد عن نفسها هو برودها.

ولا ننسى طبعاً أن هناك ضعفاً جنسياً سببه الشيخوخة وتقدم السن ، وهذا النوع من الضعف لا يؤثر على العلاقة العاطفية أو الروحية بين الزوج وزوجته إذا كانا متحابين وبينهما تفاهم مشترك ، مما يبرهن على أن العلاقة الجنسية ليست هى التى تؤثر فى الزواج ما دام زواجاً متماسكاً .

مكانة المرأة فى المجتمع

معنى المساواة :

علينا أولاً أن نعرف معنى المساواة فى هذا المجال . فالمساواة هنا ليست مساواة رياضية بمعنى التشابه التام فى كل شىء ، فهذا مستحيل ولا وجود له فى عالم الواقع ، بل المساواة هنا معناها أن يقوم كل جنس بعمله الذى خصصته له الطبيعة بغير أن نضيف إلى ذلك قيماً من عندنا ، كأن نقول هذا العمل حقير وذاك عظيم . ولتبسيط ذلك نقول إن تعقّد حياتنا اليوم يضطرنا إلى أن يتخصص هذا فى الطب ، وذاك فى الهندسة ، وثالث فى المحاماة ، لكن هذا التخصص لا يعنى أن إحدى الوظائف أدنى أو أرفع من غيرها ما دام المجتمع الإنسانى لا يستطيع أن يستغنى عن واحد منها . وما دمنا ندرك أن المجتمع الإنسانى لا يكتمل إلا بوجود الجنسين معاً ، إذن فإن كل واحد منهما يختص بعمله لأسباب طبيعية ، ولا نحقر من عمل الواحد ونعلى من شأن الآخر . إذا فهمنا المساواة بهذا المعنى أسقطنا مبدئياً جانباً من حجج المعارضين الذين يوجهون معارضتهم على أساس استحالة هذه المساواة .

كذلك نحن نعلم أن هناك صفات للرجولة ، وصفات للأنوثة لها أسبابها البيولوجية البعيدة ، لكن لا يجب أن يكون ذلك معناه تمجيدنا لصفات الرجولة وتحقيرنا لصفات الأنوثة ، حتى ليصف الناس كلّ عمل قليل القيمة مستحقر بأنه « نسائى » بينما لا يمكن للمجتمع أن ينتظم إلا إذا سادته بعض الصفات التى توصف بأنها نسائية كالطاعة والخضوع . كما أننا نعلم أن التحمل والتضحية هما من ضرورات

العبقرية . إن هذه التفرقة فى احترامنا لأعمال الرجل واحتقارنا لأعمال المرأة ، وفى تضخيمنا من شأن صفات الرجولة ، وتحقيرنا للصفات النسائية ، قد حدا بالكثيرات إلى الانحراف ، فبعضهن يحاولن أن يسترجلن . أى أن يتخلين عن صفاتهن أو مهامهن ، أو يستسلمن يائسات ، ويظهر عليهن مظهر الاستكانة والذلّة للرجل ، ويكون خضوع الواحدة منهن واستكانتها وإنكارها لنفسها قائماً على نفس الأساس الثورى الذى قام عليه عصيان أختها الأولى ، إنها ثورة تصيح فى صراحة تامة هذه ليست حياة سعيدة . بينما نجد نوعاً ثالثاً يحس أنه « مكتوب عليها » أن تكون كائناً ناقصاً ، ومفروض عليها أن تقوم بدور ثانوى فى الحياة ، كما تؤمن أن الرجل قد وجد ليؤدى مهام الحياة الرئيسية . فتوافق على وضعه الممتاز ، وتنضم إلى الجوقة التى ترفع عقيرتها بمدح الرجل ، وكأنما تريد أن تبرهن بضعفها على ما تعتقده ، وتكون النهاية أنها تلقى كل مسئولياتها على زوجها مطمئنة إلى أن الرجل هو وحده الذى يستطيع أن يقوم بهذه المسئوليات ، وهكذا تهرب من مجابهة الحياة وتنتقم من الرجل بغير أن تدرى والغريب أنه رغم هذا الاعتقاد بنقص المرأة فإن مهمة التربية مفوضة إليها ، ولهذا فلنا أن نتصور أسوأ النتائج إذا تركنا لأمثال هؤلاء النساء تربية الأجيال الناشئة .

هذا هو إذن معنى المساواة الذى نقصده ، مساواة فى قيمة المهمة التى يقوم بها كل جنس ، ومساواة فى قيمة الصفات التى يختص بها كل جنس . وسنرى أن هذه المساواة لا يمكن أن تتم إلا إذا كانت هناك مساواة فى الفرص أمام كلا الجنسين ، كما فعل أفلاطون فى جمهوريته منذ حوالى ألفين واربعمائة من السنين ، فيثبت كل منهما أهليته قبل أن نحكم لأحدهما أو على أحدهما .

ما يقوله التاريخ :

ولقد كان الرأى الشائع قبل تناول هذه المشكلة فى أواسط القرن التاسع عشر ، أن التاريخ يؤيد ما يراه الرجل من حجج لإثبات تفوقه . ولكن الأبحاث دلت على أن هذا لم يكن واقعيا فى بعض الأحيان ، وكان ناتجاً عن ظروف مصطنعة فى كثير من الأحيان . فمن علماء الاجتماع من يقرر أنه كانت توجد قبائل – بل ولا تزال توجد قبائل – فيها للمرأة نفوذ كبير – (راجع كتاب جون جنتر فى حديثه عن الهند فى كتابه « فى داخل آسيا ») وبعضهم يقرر أن النفوذ كان للأم – أى للمرأة وحدها – ، وعلى رأس هؤلاء باشوفين السويسرى ، وبعضهم يخطّئ باشوفين على أساس أن النفوذ كان للأم وللأب جنباً إلى جنب . المهم أنه كان للمرأة نفوذ لا يوجد لها اليوم ، وتعرف هذه المجتمعات بمجتمعات الأمومة فى مقابل مجتمعنا الأبوىّ الذى ينفرد فيه الوالد بالسيطرة على الأسرة . ونستطيع أن نتتبع ثلاثة أسباب رئيسية لوجود هذا المجتمع ، فبتتبعها ندرك اسباب وجود المجتمع الأبوى اليوم . أما أولها فهو الجهل بفكرة الأبوّة تماما ، فيقال إن بعض القبائل لم تعرف العلاقة بين الاتصال بالمرأة وعمليتى الحمل والولادة إلا بعد زمن طويل ، وذلك لأن الحمل لا يتم بعد كل اتصال بالمرأة كما أن الولادة لا تتم إلا بعد تسعة أشهر ، مما كان يصعب معه الربط بين هذه العمليات المختلفة إلا بعد زمن طويل ، حتى إن كثيراً من القبائل كانت تنسب الطفل إلى المكان أو الشجرة مثلا التى ولد الطفل تحتها ، وعلى هذا الأساس قام النظام التوتمى فى كثير من القبائل بمعنى أن الطفل ينتسب إلى القبيلة التى ولد فى مكانها ، أو إلى القبيلة التى تعبد هذه الشجرة بغض النظر عن قبيلة أمه ، مما لا مجال للتوسع فيه هنا . ومن ناحية أخرى نجد أنه من المعروف لدينا اليوم فى علم النفس أن العملية الجنسية لا تعتبر فى جوهرها عند المرأة إلا جزءا من عملية الإنجاب بينما هى عند الرجل لا تعدو مجرد لذة عابرة ، إلا فى

المجتمعات المتحضرة التى حمّلت الوالد كثيراً من المسئولية . لهذا فإن الأم فى تلك المجتمعات الأولى أخذت على نفسها مسئولية العناية بالطفل ، بينما لم يدرك المتسببون فى وجود هؤلاء الأطفال شيئا عن مدى الدور الذى لعبوه فى تلك النتائج .

لكن أحياناً ما كانت فكرة الأبوة معروفة ، والصلة بين العملية الجنسية والولادة صلة مدركة ، ومع ذلك فقد كان من الصعب تحديد والد الطفل ، وذلك لأن الأم تتصل بأكثر من رجل ، فيصبح والد الطفل محتملاً بين عدد كبير من الرجال ، وكان هذا النظام شائعاً فى الجاهلية ، كما هو موجود فى بلاد التبت ، حيث يكون الرجال فى الغالب إخوة لاعتقاد شائع بأن الإخوة يحملون نفساً واحدة موزعة فى عدة أجساد ، وبالتالى فالمرأة لا تتزوج إلا نفساً واحدة ، ولم يكن من المعروف أيّهم يكون والد هذا الطفل أو ذاك ، فكان من الأنسب أن ينتسب الطفل إلى أمه .

وأحياناً ثالثة كان الوالد محدّدا ومعروفاً ، ولكن الأوضاع الاقتصادية فى ذلك الوقت لم تكن لتسمح له بأن يتولى شئون ابنه كما تتولاها الأم ، فالرجال يذهبون للحرب للصيد ثم يعودون أولا يعودون إلى قبيلتهم حيث تقوم النساء بتنظيم الأمور ، ولهذا فإنه من الخير ومن الأفضل أن ينتسب الولد إلى أمه لا إلى أبيه فى شئون اللقب والميراث ، لأن الأم أقلّ تعرّضاً للموت من الوالد . ومن هنا ينتسب الابن إلى أمه وأقاربها كأخواله وخالاته أما أبوه فكان مجهولاً تماماً فى بعض الأحيان ، أو محتملا بين عدد كبير من الرجال الذين اتصلوا بالمرأة ، أو مفقودا بسبب الحرب أو الصيد .

ويرى البعض أن هذا المجتمع لم يدم طويلاً ، فقد كان الإنسان فى هذه الأثناء يكافح ضد الطبيعة يحاول أن يحصل على أمن أكثر ، فأخذت بعض القبائل تنتقل من الحالة القبلية إلى حالة الاستقرار الزراعى على أودية الأنهار ، فقلت رحلات الرجل البعيدة التى كان يقوم بها طلباً للقوت عن طريق الصيد أو الحرب . وأصبحت له ملكية بجهد فى تكوينها وثروة يتعب فى إنمائها ولا يريد لغريب أن يأخذها منه بعد موته . لهذا فقد

أصبح فى حاجة إلى أبناء من صلبه يورثهم ممتلكاته بعد وفاته ، ولا يمكن أن يتم ذلك إلا إذا كانت المرأة له وحده ، وذلك بالتأكد من بكارتها من ناحية : أى أن رجلا آخر لم يتصل بها قبل زواجه منها ، وبالمحافظة على عفتها من ناحية أخرى : أى أن رجلا آخر لا يتصل بها بعد زواجه منها . وبذا يكون ورثته من دمه هو .

ويعتقد الماركسيون أن فكرة الملكية الفردية قد دخلت فى نطاقها المرأة نفسها ولما كانت الملكية فى ذلك الوقت تعنى أن يستعمل الرجل شيئاً لا يستعمله غيره ، فقد حرم الرجل على زوجاته أن يتصلن بآخر لأنهن ملكه هو ، وهكذا لعبت الملكية الفردية دوراً مزدوجاً فى إخضاع المرأة ، مرة كشئ مملوك لا يصح أن يستعمله آخر ، ومرة باعتبارها المنجب لورثة الرجل الذين هم من دمه .

ونجم عن ذلك ما زاد وضع المرأة حرجاً فحرّم عليها فى بعض الطبقات أن تخرج من بيتها سواء قبل زواجها وبعده ، وحرمت عليها المشاركة فى الحياة العامة وذلك مبالغة فى المجافظة على شرفها ، وفيما بعد سلبت المرأة باسم العفة كل حقوقها ، فحرّم عليها أن تتعلم أو تخرج للعمل أو للسياسة . فى مقابل ذلك أخذت تظهر طائفة من البغايا كن يتخذن لهن وظائف دينية فى المعابد ، يمارسن من خلالها حريتهن الجنسية فى الأعياد ، وأحيانا فى غير الأعياد ، ويقصدونهن كبار رجال الدولة حيث كانوا يجدون لديهن متعة ثقافية على وجه أخص ، يفتقدونها لدى زوجاتهم اللاتى فرض عليهن الجهل بحكم المحافظة عليهن منذ صغرهن .

وهكذا كان لاستقرار الرجل وتفوقه الجسدى من ناحية ، ولانشغال المرأة بشئون الحمل والرضاعة من ناحية أخرى ، ما أتاح للرجل أن يسيطر على المرأة فى ذلك العصر وما تلاه من عصور . وكان من نتائج سيطرته أنه صاغ القوانين والتقاليد لمصلحته هو ، حتى شكّ أخيراً فى إنسانية المرأة ، فكانت تدور مناقشات حامية فى العصور الوسطى

حول ما إذا كان للمرأة روح مثلما للرجل تبقى بعد الموت ، أم أنها كالحيوان تفنى بموتها ولا تشارك الرجال يوم البعث ، وكان هذا الجدل يقوم مع ما كان للعذراء وبعض القديسات من مكانة فى تلك العصور . وفى هذا الصدد تلاحظ سيمون دى بوفوار أن المجتمعات التى ألّهت المرأة فى العقيدة هى التى حطت من شأنها فى الحياة العملية ، بعكس اليوم ، فنحن لا نميل إلى تمجيد المرأة ولا إلى تحقيرها فتأليه إيزيس فى الحضارة الفرعونية الزراعية لا يعنى احترام المرأة المصرية من رجلها فى الحياة الواقعية ، ويكفى أن نتطلع إلى تمثال لأحد الفراعنة فى ضخامته العظيمة وإلى جانبه تماثيل زوجاته الضئيلة المحيطة بقدميه الضخمتين ، ولو قلنا إن تأليه المرأة فى العقيدة معناه احترامها فى الحياة العملية ، لكان معنى ذلك أن المرأة كانت لها كل الحقوق فى العصور الوسطى ما دامت العذراء مقدسة ، أو أن نساء بريطانيا كن يحكمن رجالها ما دامت ملكتها فكتوريا تحكمها .

ومع أن عمل المرأة الرئيسى من حمل وولادة ورضاعة لم يكن أقل من الأعمال التى يقوم بها الرجل لحفظ مجتمعه ، إلا أنه نظر إلى هذه المهمة نظرة التحقير ، ونظر إلى أعماله هو نظرة التمجيد ، وساعده على أنه المالك للوسائل الاقتصادية ، فهو الذى يزرع الأرض الآن ، وهو الذى يعمل لجلب القوت ، والمرأة وأبناؤها يعتمدون عليه فى ذلك ، وكلنا يعلم مدى سيطرة الإنسان الذى نعتمد عليه فى مواردنا ، فنحن نضطر إلى الخضوع له والتسليم بما يراه حتى لا ينقطع مورد رزقنا . وهكذا كان وضع المرأة من لرجل فانشغالها بمهمتها النسائية منعها أن تجلب القوت لنفسها بانتظام ، فاعتمدت على الرجل فى ذلك حتى ولو كانت تساعده ما بين حين وحين ، ولم يفوّت الرجل عل نفسه هذه الفرصة فاستغلها لمصلحته وأخضع المرأة لمشيئته ، وإلا حرمها هى وأبناءها قوتهم الضرورى وبهذا فقدت المرأة فرصة التعبير عن نفسها كإنسان ، وأصبحت مجرد أداة من أدوات الرجل الكثيرة ، أداة لمنعته ، وأداة لإنجاب عدد من الأبناء يساعدونه ويظاهرونه أثناء حياته ، ويخلدونه ويرثونه بعد مماته .

ومع ذلك فنحن نجد رغم هذه الظروف القاسية ظهور بعض السيدات فى المجتمع . وإن كان ذلك لأسباب خاصة مثل حتشبسوت بين الفراعنة ، وسافو الشاعرة الإغريقية . وكليوباترة ، وفى سفر القضاة من التوراة نجد كثيرات يتزعمن بنى إسرائيل مثل دبورة ، رغم أن شريعة موسى لم تعط المرأة حقوقها ، فتركت للرجل الحق فى الزواج بأكثر من واحدة ، وأعطته حق الطلاق بشروط هينة لم يبحها حتى قانون حمورابى . فلما جاء المسيح رفع من شأن المرأة حين حرم الطلاق إلا لعلّة الزنى ، وحين أعلن أن يتزوج الرجل من امرأة واحدة كما كانت حـــواء لآدم أما الإسلام فقد منع وأد البنات ، وحدّد عدد الزوجات ، إذ جعله أربعاً وبشروط عسيرة ، وجعل الطلاق أبغض الحلال عند الله ، وأعطى المرأة حقاً فى الملكية وحرية التصرف فيها فترث نصف ما يرثه الرجل ، أما فى العصور الوسطى فقد كانت المرأة فى وضع لا تحسد عليه ، ففى الوقت الذى كان فيه الشعراء يغازلون النساء من تحت شرفاتهن ويتغنون بجمال المرأة لإرضاء رغبات الجمهور العاطفية والجنسية ، كان الفرسان كلما خرجوا لحرب أو لرحلة طويلة الأمد قيدوا زوجاتهم بحزام العفة ، وهو حزام يربط على وسط المرأة فيتعذر الاتصال الجنسى بها وله قفل يأخذ الفارس مفتاحه معه حتى يعود *

ولقد ضحك بعض السودانيين حين ذكرت لهم قصة الحزام ، والواقع أنه صورة مخففّة للخفاض الفرعونى الذى يمارسه بعضهم على إناثهم قبيل بلوغهن ، لأن الهدف هنا أيضا هو المحافظة على شرف الفتاة ، إلا أنه يتم هذه المرة على لحم الفتاة فتستأصل الداية كل الأجزاء الحساسة الخارجية استئصالا تاماً مما يسبب للفتاة البرود الجنسى فى علاقتها الزوجية فيما بعد ، ثم يلحمون الشفرتين ولا يتركون إلا فتحة صغيرة للتبول ، وعند الزواج تقبل الدية مرة ثانية لعمل فتحة أوسع ، وعند الولادة تقبل مرة ثالثة لعمل فتحة أكثر اتساعاً . وقد يموت الجنين أثناء ذلك ، وهذا الاتساع الجديد لا تلبث أن تلحمه الداية بعد كل ولادة حتى لا يفقد الرجل شيئاً من متعته أثناء اتصاله بزوجته .

فهى عملية من أولها إلى آخرها لمصلحة الرجل على حساب المرأة والذى أعلمه أن الأوساط السودانية المستنيرة بدأت فى مقاومة هذا التقليد .

ولعله من الطريف أن نورد هنا رأياً ذكرته الآنسة مىّ فى أحد كتبها ، كما لاحظه كثير من علماء الاجتماع . ذلك أن الحلى التى يعطيها الرجل للمرأة عند خطبتها كالأساور والعقود والخلاخيل كلها على أشكال قيود وسلاسل . والخزامة التى توضع فى أنف الجمل لشده منها عند عصيانه تشبه تماماً تلك الخزامة التى يعطيها العربى لزوجه كحلية دلالة على حبه .

ولما كان القرن التاسع عشر بدأ العصر الصناعى يثبت أقدامه ، وظهرت الطبقة الوسطى ظهوراً له خطره ، وانتشرت النظم النيابية التى تطالب بالمساواة ، وأخذت المرأة تغزو ميادين كانت محرّمة عليها من قبل ، فبدأ الجدل الجدّى حول حق المرأة فى ترك بيتها والخروج للعمل ، وحول طبيعتها ، وهل تؤهلها حقاً للوقوف على قدم المساواة مع الرجل . وبدأ البحث حول أوجه الخلاف بين المرأة والرجل جسمياً وعقلياً ، وقد تقرر أن الاختلاف موجود فعلاً بحكم الطبيعة ، لكن الأمر الجديد هو أن هذا الاختلاف لا يؤدى إلى النتيجة التى كانت شائعة ، أى نقص أحد الجنسين عن الآخر ، بل إن لكلّ مهامه بحكم طبيعته وتكوينه ، والمهمات التى يقوم بها الجنسان ضرورية كلها للمجتمع الإنسانى ، ليس فيها ما هو حقير وما هو عظيم ، وإذا توفرت الوسائل الحضارية من اجتماعية وآلية – كوجود دور الحضانة والمطاعم الشعبية مثلا – وفرت على المرأة كثيراً من أعبائها المنزلية ، واستطاعت أن تخصص جزءاً كبيراً من وقتها لأعمال خارجية استحدثتها حاجة المجتمع ، وهى أعمال اكثر تلاؤما وطبيعة الجنس النسائى ، كالتمريض والطب وتعليم الأطفال ، أو أعمال يكون وجود المرأة فيها ضروريا إلى جانب الرجل كما فى المسرح والسينما . ونحن إذا رجعنا إلى المهن التى لم يصدر فيها تشريع يحرم على المرأة مزاولتها نجد أن النساء اخترن مهنا دون أخرى ، فلم يذهبن لقطع الأحجار أو أعمال

البناء مثلا ، بل اشتغلن بتنظيف البيوت وبيع الخضروات فى الطرق ، وهذا دليل على أن فتح المجال أمام المرأة ليس معناه أنها ستغزو كل المهن سواء اتفقت وطبيعتها أم لم تتفق .

فالثورة الصناعية هى التى عملت بحق على تحرير المرأة لأنه لا يمكن للمرأة أن تتحرر إلا إذا شاركت بقسط كبير فى الإنتاج المادى وقلّت مساهمتها فى الأعمال المنزلية إلى حد بعيد ، وهذا لا يمكن حدوثه إلا فى الصناعة الحديثة التى لا تسمح بخروج المرأة للعمل فحسب بل إنها تتطلب ذلك رسمياً .

وإذا كان بقاء المرأة فى البيت معناه استعبادها ، فإن خروجها لا يعنى الضرورة تحررها ، بل قد يكون معناه استعبادها مرتين ، مرة لزوجها ومرة لصاحب العمل ، بل لا بد أن يكون هذا الخروج فى نظام يكفل الحرية للجميع ، الرجل والمرأة على السواء . ذلك أنه عند دخول المرأة الحياة العملية كان أجرها أقل ، بدعوى أن حاجاتها أقل من حاجات الرجل ، حتى إن أجرها كان من التفاهة فى بعض الأحيان بحيث لا تستطيع الاستغناء – بالرغم من عملها – عن رجـــل يعولها ، أباً كان أم أخاً أم زوجاً . وحتى إن العمال من الرجال كانوا يعتبرونهن أعداء لهم ، لأن أصحاب الأعمال يهددون بهن كل من يتذمر من أجره بإحلال النساء محله . ولم تقف هذه العداوة إلا حين انضمت النساء مع الرجال فى نقابات موحدة .

بقى اعتراف سطحى لكنه كثير الذيوع ، ذلك أن المرأة ستزاحم الرجل فى أعماله وبذلك تساعد على إيجاد مشكلة البطالة . وفهم أسباب البطالة على هذا النحو يقصد به تحويل الأنظار عن السبب الحقيقى لوجودها ، ألا وهو النظم التى تسببها ، فاستغلال طاقة الإنتاج فى البلد استغلالا كاملاً عملياً هو وحده الذى يكفل عملاً لجميع النساء والرجال . هذا إلى أن المرأة التى تعمل إنما تكسب لرزق لضمان حياتها وحياة أسرتها ، فإذا حرمناها العمل فليس هذا حلاً لمشكلة الفقر بل هو عملية نقل للفقر .

هذا وما تزال المرأة – فى منتصف القرن العشرين – تعانى من آثار تاريخ استعبادها الطويل فى أهم شيء يتعلق بجوهر حياتها كأنثى ، وهو حق التصرف فى جسدها. فمن المسموح به للمرأة فى كثير من المجتمعات أن تعتبر جسدها رأس مال يمكنها أن تستغله عن طريق بغاء أو زواج طيب أو فى حياتها الاجتماعية . وبذلك لا يكون الفرق بين البغاء والزواج – فى كثير من الأحيان – سوى أن البغى تأخذ أجرها من عدة رجال وعلى عدة مرات ، والمتزوجة تأخذه مرة واحدة من رجل واحد ، ولو أن مسألتها لا تقف عند هذا الحد ، لأنه كثيراً ما تلجأ إلى الزنا لإشباع رغباتها التى أبى أن يحققها لها ما يحيط بها من ظروف . وبهذا يصبح الزواج فى كثير من الأحيان عملية تجارية كالبغاء سواء بسواء . ذلك لأن الحب هو وحده الذى يقرر أخلاقية العلاقة بين المرأة والرجل ، الحب القائم على أسس من التفاهم العقلى والعاطفى والجسدى .

أما البغاء نفسه فقد تطور فى تلك المجتمعات حتى أصبح إحدى وسائل كسب العيش شأنه فى ذلك شأن بيع البيض والدجاج والسيارات . وسببه وجود الفقر بين كلا الجنسين ، ولهذا تضطر بعض الفتيات إلى أن يلجأن إلى هذه الحرفة ليأكلن بعرق أجسادهن ، ويلجأ إليهن الشباب من الجانب الآخر لأنها وسيلة للمتعة الجنسية أقل نفقة من الزواج ، وما يستتبعه الزواج من المسئوليات .

وعلى أية حال فالمرأة فى مجتمعنا ما تزال تطلب الحماية من الرجل ، وهى ترى أن هذه الحماية تتحقق إما فى صورة الفتوة الجسدية وهذا من بقايا المجتمع البدائى ، وإما فى صورة الثروة وهذا أثر من آثار مجتمعنا الذى يمجد المال ، أما طلب الثروة الثقافية فلا يكون من امرأة تطلب الحماية بقدر ما يكون من امرأة تنشد التقدير المتبادل .

ما يقوله علم النفس :

ورغم أننا – فيما يبدو – قد أتحنا الفرص لكثير من النساء فى العصر الحاضر ، فأصبحن يتعلمن مثلما يتعلم الرجل ، وأصبحن يشتغلن فى كثير من البلاد مثلما يشتغل الرجل ، بل إن بعضهن قد ظهرن فعلا فى بعض ميادين العلوم والسياسة والأدب ، إلا أن ظهور هؤلاء جميعاً كان ظهوراً محدوداً لا يتفق وهذه الفرص الواسعة التى حصلت عليها المرأة . وهنا نقول إن مجرد تصورنا بأن المشاركة فى العلوم والمخترعات والآداب هو وحده العبقرية ، إنما هو تصور خلقه الرجل ، لأن هذه هى ميادينه ، ولو أننا تأملنا مهمة المرأة الرئيسية فى الحياة والتى أعدتها لها الطبيعة لوجدنا أن عملية حمل الطفل ، ورضاعته وتربيته ، وتنشئته تنشئة صالحة ، والعناية به ، وحمايته من أخطار الموت التى يتعرض لها فى هذه الطفولة المبكرة ، لا تقلّ أبدا فى العبقرية عن أى عمل علمى أو أدبى . ولكن أمور الولادة والطفولة ليست من مهام الرجل ، فهى لا تدخل إذن فى قاموس العبقرية الذى ألفه الرجل . والواقع أن المرأة التى تستطيع أن تكون اليوم زوجاً وأماً وطبيبة وعضوا فى البرلمان فى نفس الوقت ، لتسترعى انتباهنا أكثر مما يسترعيه عالم أو أديب كبير — ودليلنا على ذلك أننا كثيراً ما نجد أمثال هؤلاء العلماء أو الأدباء يمتنعون عن الزواج بدعوى التفرغ لأعمالهم ويعلنون أنهم يكتفون بما يتبنونه من أعمال علمية أو أدبية ، فما بالنا إذا كنا أمام امرأة متزوجة ذات أطفال ورغم ذلك فهى تتفوق فى عالم الأدب أو العلم ؟ إذن فلنترك التصور الذى خلقه الرجل عن العبقرية ولنعترف بأن فى مهمة المرأة من العبقرية ما فى مهمة الرجل تماماً .

ومن ناحية أخرى نجد أن الحرية المعطاة للمرأة اليوم ماتزال ناقصة إن لم تكن مصطنعة فى كثير من الأحيان ، لأن مجتمعنا مايزال فى أساسه مجتمعاً يقوده ويوجّهه الرجال . والمرأة العانس فى حضارتنا تظـل شبه خادمة فى منزل والدها أو أخيها أو

منزل أختها المتزوجة ، ولا تصبح سيدة بيتها إلا إذا تزوجت . ورغم فتح أبواب العمل المختلفة أمام المرأة ، فلا تزال تعتبر أن الزواج – كوظيفة رئيسية – هو « أشرف » وضع لها و يملأالوالدان رأس ابنتهما بفكرة الزواج حتى لترى أن كل شئ فى حياتها – فيما عد الزواج – شئ عرضى .

وهناك الآن نضال مستمر من جانب الرجل للاحتفاظ بما كان له من سلطان يقابله تمرد من جانب المرأة لتشبث الرجل بهذه السيطرة . ولما كان الجنسان مختلطين ببعضهما أشد الاختلاط فمن السهل أن ندرك كيف أن هذه المشادة الدائمة تؤدى إلى شذوذ نفسى ، بل واضطراب جنسى مما يزعج الجميع .

وليس من الضرورى أن يكون فهم الطفل لهذه العلاقات فهماً عميقاً ، ولكن لابد لنا من الاعتراف بأن حياته العاطفية تتأثر بذلك إلى حد بعيد . فالطفل يغضب إذا طلب منه أن يرتدى ملابس فتاة ، بينما العكس لا يحدث نفس هذا التأثير . ودخول الوالد وخروجه الغامضان يثيران اهتمام الطفل أكثر مما يثيره مكوث الأم الدائم فى البيت ، وسرعان ما يدرك الطفل الدور الرئيسى الذى يقوم به الوالد ، وهو دور يبدو فيه دائما بمظهر القائد . فالجميع يطيعون أوامره وأمه تسأله النصيحة ، وحتى فى حالة عدم وجود هذا الوضع فإن الأطفال تتكون لديهم فكرة عن سيطرة الوالد لأن حمل الأسرة يبدو ملقى على عاتقه . وكثيرا ما تهدد الأم طفلها قائلة « حين يأتى أبوك سأخبره بما فعلت » فمثل هذه المرأة تعطى طفلها فكرة عن ضعفها هى وسيطرة رجلها . وتسمع الفتاة دائما أنها أقل من الأولاد ، فليس من العجب إذن أن تؤمن إيمانا خالصا بنقصها ، بل العجيب ألا تفعل ذلك ، وهكذا تفقد الثقة فى نفسها ولا يعود لديها أمل فى القيام بعمل له أهمية فى الحياة .

ووضع المرأة على هذا النحو قد أثر فى ناحيتها النفسية . وليس صحيحاً أن مستواها العقلى هو وحده الذى يتأثر بهذه الأوضاع ، بل إن مستواها العاطفى كذلك على عكس

الشائع بين الناس . فنحن نسمع أن المرأة عاطفية ، والواقع أن المرأة – وهذه الأوضاع تحيط بها – أبعد ماتكون عن النضج العاطفى أيضاً ،

ولهذا فإن عاطفة المرأة الجاهلة تعوق مثلا النمو النفسى لابنها ، إذ تحاول أن تستأثر به ، حاسبةً أن هذا هو الحب ، بينما الحب الناضج هو الذى يجعل من عاطفة الأمومة عاملاً هاماً من عوامل نمو الطفل النفسى . وكم من أمهات حطمن حياة أبنائهن الزوجية بسبب هذه العاطفة الضحلة ، وهى المشكلة التى نسميها بمشكلة « الحموات » فالحماة هى أم تحب أبنها أو بنتها حبا غير ناضج ، فلا تستطيع أن تتصور آخر يشاركها الشخص الذى تحبه .

وهذه الضحالة فى العاطفة هى التى تجعل الصداقات بين النساء أمراً نادراً ، لأن الصداقة معناها الحرية فى أن تهب مودتك لإنسان آخر ، والمرأة إذا كانت ناقصة الحرية ، لاتستطيع أن تهب شيئا ليس لديها . وشعور المرأة بالحسد هو أيضا نتيجة لعدم نضجها العاطفى ، لأن الشخص الذى نضجت عواطفه يستطيع أن يتحمس ويعجب بما لدى الآخرين من مزايا ، وإذا لم نستطع أن نعجب بهذا المزايا ، فنحن لا نستطيع إلا أن نحس بالحسد .

والأمر نفسه فيما يتعلق بالغرور الذى تتصف به كثيرات من النساء ، فالشخص الذى لا يستطيع أن يرى فى الآخرين شيئا يستحق الإعجاب ينتهى إلى الاعتقاد بأنه أفضل شخص فى العالم .

وإذن فالاعتقاد بأن المرأة عاطفية هو اعتقاد يحتاج إلى تمحيص قبل الإيمان به ، والأولى أن يقال بأن المرأة فى وضعها الراهن – والرجل الجاهل أو المستعبد كذلك – فى حاجة إلى نضج عاطفى .

وقد برهنت إختبارات الذكاء على أن فريقا معينا من الفتيات تختلف أعمارهن ما بين الرابعة عشرة والثامنة عشرة ، كانت موهبتهن ومقدرتهن أوضح مما لدى الفرق الأخرى

ومن بينها فرق الأولاد . ودلت البحوث فيما بعد على أن هؤلاء الفتيات كن من أسر فيها الأم هى التى تكتسب وحدها العيش أو تشارك على الأقل بنصيب كبير فيه . ومعنى هذا أن هؤلاء كن فى وضع منزلى خال من الاعتقاد بعجز المرأة . فقد كان باستطاعتهن أن أن يرين كيف أن عمل الأم له جزاؤه المادى الواضح ، ونتيجة لهذا نشأن فى حرية أكثر . وفى اختبارات أخرى تبّين أن الأولاد يظهرون مواهبهم فى دروس معينة كالحساب بينما أظهرت الفتيات موهبة أكثرفى دروس أخرى كاللغات . وتفسير ذلك أن كلا الفريقين يظهر موهبة أعظم فى الدروس التى يعلم أفراده أنها ستؤهلهم للحياة فيما بعد .

ومعنى ذلك أننا لايجب ان ناخذ النتائج الحالية لنستدل على ضعف أحد الجنسين عقليا عن الآخر ، فاذا أتينا بطفل وظللنا نوحى له بأنه كسلان وغبى ، ولا يستطيع أن يفعل شيئا ، ثم امتحناه فرسب ، فإن السبب لايرجع إليه بل إلينا نحن الذين أوحينا بضعفه ونقصه . وما أسهل على الفتاة أن تفقد ثقتها فى نفسهافى حضارتنا . إنما علينا أن ننشئ الجميع تنشئة صالحة واحدة منذ الطفولة ، ثم نراقب النتائج فيما بعد ، وهذا مالم يحدث حتى الآن فى كثير من بقاع الأرض إلا فى نطاق ضيق .

تقول السيدة « إديث سمرسكل » وزيرة التأمين فى وزارة العمال البريطانية السابقة لإحدى الصحفيات : إن الرجال ليسوا أنانيين بحال من الأحوال ، ولكنكن تدللنهم كثيرا ، فاعتادوا أن يكونوا « المحور » لحياتكن . ولست ألومهم ، فالرجل يميل بطبيعته إلى التدليل ، وواجب المرأة أن توفيه حقه من هذه الناحية ، ولكن هذا لايمنعها من خدمة بلادها ، ولا تنسى أن المجتمعات القوية لا تقوى مالم تشترك المرأة فى كل جهود الرجل . وفى عنق الرجل أمانة أخرى تضمن صلاحية الأجيال القادمة ، وهى أن تربى أولادها ذكوراً وإناث على العدالة التامة ، والمساواة المطلقة ، فلا يصبح مثلا أن تقوم الفتاة بعمل بيتى ولا يقوم الصبى بنفس العمل لأن اشتراكهما فى الواجبات المنزلية والاجتماعية يعلمهما أن لا فارق بين الرجل والمرأة . . . . إذا كان لكنّ أولاد ذكور

فافعلن معهم هكذا ، تخدمن قضية بلادكن خدمة جليلة . وقد حققت ذلك ولمست بالتجربة فوائده الجمّة ، فقد عودت ابنى من الصغر على القيام بكل الأعمال التى تقوم بها أخته ، وعندما كنا فى بعض الظروف نفتقر إلى الخدم ، كان يغسل ثيابه وصحونه بنفسه ، وكان ينظف غرفته ويرتب فراشه . ولم تسئ تربيتى إلى رجولته ، بل علمته الاعتماد على النفس وازدادت شخصيته قوة .

obeikandl.com

كتب أخرى للمؤلف

١ – مجموعات قصصية

العشاق الخمسة — طبعة أولى — الكتاب الذهبي ، روز اليوسف ، ١٩٥٤ (نفد)
طبعة ثانية — الكتاب المساسى الدار القومية ، ١٩٦١ (نفد)
رسالة إلى امرأة — الكتاب الذهبي ، روز اليوسف ، ١٩٦٠ (نفد)
الزحام — دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٩

وأعيد نشر قصص هذه المجموعات مع بعض الإضافات :

حلاوة الروح — كتاب اليوم ، أخبار اليوم ، ١٩٧١
مطاردة منتصف الليل — سلسلة أقرأ ، دار المعارف ، ١٩٧٣
آخر العنقود — كتاب اليوم ، ١٩٧٤

٢ – نثر غنائى

المساء الأخير — دار المعارف ، ١٩٦٣

٣ – دراسات

دراسات أدبية — النهضة ، ١٩٦٤
دراسات فى الأدب العربى المعاصر — الدار القومية ، ١٩٦٤
دراسات فى الحب — كتاب الهلال ، دار الهلال ، ١٩٦٦ (نقد)
دراسات فى الرواية والقصة القصيرة — الأنجلو المصرية ، ١٩٦٧
اللامعقول فى الأدب المعاصر — المكتبة الثقافية ، الدار القومية ، ١٩٦٩
الرواية المصرية المعاصرة — كتاب الهلال ، دار الهلال ، ١٩٧٣
سبعون شمعة فى حياة يحيى حقى — الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٥
الخوف والشجاعة (مجموعة دراسات فى قصص يوسف الشاروني)كتابات معاصرة ١٩٧١

رقم الإيداع	١٩٩٢ / ٢٣٩٦
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-3624-1

١ / ٩٢ / ٢

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)